" الشيطـان في الـتـوراة والإنجـيل والـقـرآن : دراســة مقارنـة "

د. عامـر سلامـة فـلاح المـلاحـمـة *

تاريخ تسلم البحث: 2015/11/12م تاريخ قبوله للنشر: 2016/08/03م

الملخص

كثر الحديث عن الشيطان مؤخراً وأصبح في ذهن الناس أنه قوة الشر التي تضربهم، فتعلقوا بالسحر والرقى غير الشرعية لدفع الشر، وكل ذلك باسم الدين. فجاءت هذه الدراسة الشرعية المقارنة عن الشيطان والمستندة فيما تذهب إليه من عرضٍ، أو إثباتٍ، أو ترجيحٍ على النصوص من القرآن والتوراة والإنجيل، من عدة جوانب، أهمها: أسماء الشيطان وصفاته، وأصله، ومصيره، وأثره على الإنسان بالصرع، أو التزاوج. وكان هناك اختلاف شديد بين حديث القرآن الكريم، وبين التوراة والإنجيل وذلك لما أصاب التوراة والإنجيل من تحريف، وتأثر بالأمم الأخرى في حديثها عن الشيطان كالبابليين. وتسربت بعض عقائد اليهود إلى فكر المسلمين اليوم فيما يخص ذلك، وخاصة مسألة أثره على الإنسان، فلا يتصف الشيطان بمطلق القدرة على إلحاق الأذى المادي بالناس، وكذلك لم يرد في القرآن دليل على التزاوج بين الجن والإنس.

Abstract

The Devil has recently become the core of many debates. People imagined him to be the harmful power of evil. Therefore, they adhered to magic and illegal spells to privet evil. All this has been in the name of religion. Hence, this comparative legal study was conducted to study the several aspects of the devil, characteristics, origin, destiny and his impact on the human beings by means of epilepsy or marriage. There is big difference between the discourse of the Holy Koran on one hand and the Torah and the Bible on the other hand because of the distortion that affected the Torah and the Bible and the influence of other nations like the Babylonians in that respect. Today, some Judaic beliefs have infiltrated into the Islamic thoughts in that concern, especially the influence of the devil on man and marriage between Jinn and humans which may produce many consequences.

* الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

المقدمـة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم، وبعد.

شغل الحديث عن الشيطان حيزاً واسعاً في الفكر الإنساني سواء أكان ذلك في الفكر الديني القديم حيث كان الحديث عنه في الحضارات القديمة كالمصرية والبابلية وغيرهما، أم كان في الشرائع السماوية الثلاث، أم في الفلسفات القديمة والمعاصرة، وظهرت الكتابات الواسعة حوله باسم (الشيطنة، والشيطانيات) وغير ذلك، وكانت كل منها ترمز له برمز، وتصوره بصورة، وتصفه بصفات. وقد ارتبط الحديث عنه بفكرة الشر والإضلال والإفساد، فكل فكرة تدور في ذهن الإنسان حول ذلك كانت ترتبط به وبسطوته، ولعمق هذه الفكرة وانتشارها بين الناس، وللحديث عن صراع الخير والشر تعددت صوره، وأُعطي السلطان المطلق، والقوة الطاغية على الإنسان، والقدرة على جلب الضرر والنفع، كما هو الحال عند اليهودية والمسيحية حيث كانتا تعتقدان أن له قوة وجنود تكافئ قوة الخير وجنوده، فهو إله الظلام ودولته، وهو القوة السالبة في مواجهة قوة الخير، ولعظم ذلك عندهم رسموا له صوراً تعبر عن ذلك كالأفعى والوحش، والأسد المفترس(1).

فبينمـا نجـد تـأثر اليهوديـة والمسـيحية بحـديث الأمـم السـابقة، سـواء فـي أسـمائه، أم صــفاته، أم أفعالــه وسـلطانه، نجـد حـديث القـرآن الكـريم الـذي تميّـز بالوضــوح والبيــان، فكشـف عــن أصــل الشـيطان، وصــفاته، وأفعالــه، وعلاقتــه بالإنســان. إلا أن الإســرائيليات تسـربت إلـى فكـر بعـض المسـلمين، فظهـر الحـديث عـن سـلطان الشـيطان المطلـق بـالمرض وغيـره، وأصـبح مصـدراً للضــرر والنفــع، وأدى ذلـك إلــى انتشــار السـحر والعرافـة، فاسـتغل بعـض الـدجالين ذلـك، وابتـدعوا مـن أسـاليب الرقـى التـي لـم تـأت فـي ديننـا، وبطريقـة غيـر مشـروعة، كمــا ظهــر الحــديث عــن زواج الجــن مــن الإنــس، وكــل ذلــك يخــالف صــحيح الاعتقاد عندنا.

أهمية الموضوع وأهداف الدراسة :

بدأنا نلحظ في الآونة الأخيرة بين المسلمين ظهوراً كبيراً للحديث عن الشيطان بمحاور متعددة من أبرزها:

أ. شـيوع الإسـرائيليات التـي تخـص الحـديث عـن الشـيطان فـي بعـض كتـب التفسـير، حتـى أصبحت عند البعض عقيدة.

ب. السلطة المطلقة للشيطان وأنه القادر على النفع والضرر كما يظن البعض.

ج. استغل البعض مخاوف الناس من الشيطان فمارس السحر والعرافة والرقى الفاسدة. وأصبح أمراً مشاهداً من خلال بعض الفضائيات، التي أظهرت الشيطان، وكأنه إله الكون، وهذا ما أظهرته التوراة والإنجيل عند حديثها عن سلطان الشيطان. وتهدف الدراسة إلى كشف بعض تلك الشعوذات والدجل التي تُلحق الأذى بالمسلمين.

د. تهدف الدراسة إلى بيان نقاط الاتفاق والاختلاف بين أهل الشرائع عند حديثهم عن الشيطان.

الدراسات السابقة :

هناك العديد من الدراسات حول الشيطان وخاصة في القرآن والسنة، إلا أن الباحث لم يجد بحثاً أو دراسةً علميةً مقارنة بين مصادر الشرائع بالرغم من أهمية المقارنة، وخاصة لتسرب بعض الإسرائيليات إلى بعض كتب المسلمين.

منهج الدراسة:

بعد جمع المادة من مصادرها الأصيلة، اتبع الباحث المناهج التالية:

1- **المنهج التحليلي:** لكثير من النصوص وخاصة نصوص التوراة والإنجيل.

2- **المنهج المقارن:** وهو أبرز مناهج الدراسة، حيث تناول محاور الدراسة من جانب المقارنة بين كل من التوراة والإنجيل والقرآن.

3- **المنهج النقدي:** وخاصة لما ورد في بعض نصوص التوراة والإنجيل.

محتوى الدراسة: جاءت الدراسة في خمسة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: أسماء الشيطان ومفهومها في التوراة والإنجيل والقرآن.

المبحث الثاني: أوصاف وأعمال الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن.

المبحث الثالث: أصل الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن.

المبحث الرابع: أثر الشيطان على جسد الإنسان وروحه في التوراة والإنجيل والقرآن وعلاجه.

المبحث الخامس: مصير الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن.

الخاتمة وأهم النتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

أسمـاء الشيطـان ومفهـومهـا في الـتوراة والإنـجيـل والقـرآن

تعددت أسماء الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن، فكان لها دلالات مختلفة على حقيقته وصفاته وأفعاله.

أولاً: أسـمـــاء الشيطــان في الـتوراة

إن مما امتازت به ديانة اليهود أنها ديانة متغيرة، فكثير من عقائدها وتشريعاتها تشكلت عبر مراحل زمنية طويلة بعد عصور الأنبياء عليهم السلام، فتغيرت عقائدها بالإله وصفاته، والأنبياء، والوحي، واليوم الآخر في كل مرحلة زمنية عاشها بنو إسرائيل، فكانت تتأثر بعقائد الأمم والحضارات التي تعايشها. فالحديث عنه عندهم لم يكن بعيداً عن ذلك، فلم يظهر عندهم الحديث عنه كما هو موجود الآن إلا بعد السبي البابلي. فكثير من الأسماء التي أُطلقت ذات أصول سريانية وكنعانية وبابلية كما سيظهر. فلم يُذكر الشيطان في كتاب من الكتب قبل عصر النفي إلى أرض بابل، ثم ذكر على الوصف لا على التسمية، فجاء مرة بمعنى الخصم، وجاء مرة بمعنى المقاوم[2]. وإن حاولوا رد هذا الأمر بدعوى وجود الحديث عنه قبل السبي كما في سفر أيوب عندما جرّبه الشيطان، فيُرد عليهم أن التوراة كتبت أثناء السبي وبعده. ولقد كان لنظرة بني إسرائيل إلى باقي الشعوب أو ما يسمى (الجوييم) أثراً على الحديث عن الشيطان، فيرون أنهم روح الله، أما سائر الأمم فهم نفحة من روح الشيطان، فغلب الحديث عن الإله القومي لبني إسرائيل: (فتعلم كل الأرض إنه يوجد إله لإسرائيل) سفر صموئيل الأول 17: 46، على الحديث عن الأمم الأخرى وآلهتها المتمثلة بالشيطان.

ومن أشهر الأسماء التي وردت للشيطان في التوراة:

1. **الشيطان:** وردت لفظة الشيطان في العهد القديم في أكثر من موضع، منها ما كان في مقام النكرة، ومنها المعرّف. فذهب البعض إلى أن أصل هذه اللفظة عبري، بصيغة الفاعل بمعنى خاصم أو قاوم. فقيل "الشيطان: ترجمة الكلمة العبرية شطن، ومعناها (مقاوم)،

ويسمى في اليونانية (ديابولس) ومعناها (مشتك)"[3]. ولكن هذا الظن يصدق في حالة واحدة، وهي أن يكون اليهود أُصلاء في الكلام عن الشيطان لم يسبقهم أحد من المشارقة إليه، إلا أنها حالة لم تثبت، وقد يكون الثابت خلافها ونقيضها، فإن اليهود قد وصفوا الشيطان بعد هجرتهم إلى بابل وليست طريق بابل موصدة دون الأمم السامية غير اليهود، فاللفظة أصيلة في اللغة العربية قديمة فيها[4]. ورد في سفر زكريا: (وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه، فقال الرب للشيطان لينتهرنك الرب يا شيطان) 3: 1–2[5].

2. **الخصم:** حيث ورد في سفر الملوك الأول: (وأقام الرب خصماً لسليمان هدد الأدومي)14:11.

3. **الملاك المهلك:** (فندم الرب عن الشر، وقال للملاك المهلك الشعب كفى الآن رد يدك) سفر صموئيل الثاني 16:24.

4. **قاهر الأمم، زهرة بنت الصبح:** ورد في سفر إشعيا: (كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح كيف قُطِعتَ الأرض يا قاهر الأمم) 12:14.

5. **الحية:** ورد في سفر التكوين: (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتاه، فقالت الحية للمرأة لن تموتا) 3: 1–4.

6. **المقاوم:** ورد في سفر العدد: (فحمي غضب الله لأنه منطلق ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه) 22:22 [6].

7. **ملك الصور:** ورد في سفر حزقيال: (يا ابن آدم أرفع مرثاة على ملك صور وقل له هكذا قال السيد الرب) 12:28.

8. **عزازيل:** اسم عبري بمعنى العزل والأبعاد للخطيئة والشيطان، أو أحد الآلهة، أو أحد الأرواح الشريرة. ولم يرد إلا في سفر اللاويين في أكثر من موضع:(ويقرب هارون ثور الخطيئة الذي له، ويكفّرُ عن نفسه وعن بيته ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة

الاجتماع ويلقي هارون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل... وأما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيا أمام الرب ليُكفّر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية) 16: 6–10. وقيل بحسب الترجمة السريانية أنه اسم للشيطان كان العبرانيون والكنعانيون القدامى يعتقدون أنه يسكن أرضاً عميقة لا يمارس الله فيها عمله، وله عدة تفسيرات بحسب الترجمات، منها:

أ- التيس الذي كان اليهود يطلقونه في البرية لعزله وفصله عن الناس (بحسب الترجمة اللاتينية).

ب- كلمة مطلقة على العزل للخطيئة أو الفصل (بحسب الترجمة اليونانية السبعينية).

ج- البرية أو المكان الصحراوي النائي الذي كان التيس يعزل فيه (بحسب بعض المفسرين اليهود).

د- الشيطان أو الجن في الصحاري أو البراري أو ملاك ساقط (بحسب سفر أخنوخ ومعظم المفسرين المحدثين).

فالتيس المذبوح كان كفارة عن أخطاء البشر، وأما التيس المطلق إلى البرية فكان الكاهن يضع يده على رأسه ويعترف بخطايا إسرائيل ثم يرسله مع إنسان إلى البرية ولا يعود الإنسان إلى محله إلا بعد أن يغتسل ويغسل ثيابه(7). ومما تجب الإشارة إليه أن هذه من العقائد الوثنية التي ظهرت بعد عصر المنفى لتكفير الخطيئة، وقد اختلف الشراح في أصله، فيرى بعضهم أنه كان رئيس الملائكة الذين هبطوا إلى الأرض فأعجبتهم (بنات الناس) وتزوجوا منهن ثم انهزم أمام جند السماء فلاذ بالصحراء. ويقال أن إبليس كان يسمى عزازيل ثم سقط فزال مكانه من السماء، وقد كان من عادة اليهود أن يقترعوا على ضحيتين تذبح إحداهما للرب (يهوا) وترسل الثانية محملة بالخطايا إلى عزازيل رب الأرض والخراب(8).

1- بَلِيّعال: اسم عبري معناه عديم الفائدة الشرير، ورد في سفر صموئيل الأول:(وكان بنو عالي بني بليعال لم يعرفوا الرب) 12:2(9).

2- مفستوفليس: يقال أنها مأخوذة من كلمة يونانية مركبة تفيد معنى كراهة النور، ويرجحون أنها من (مي) بمعنى لا، و(فوس) بمعنى نور، و(فيلوس) بمعنى يحب، ولكن أصلها القديم متفق

عليه، فهي مستمدة من السحر البابلي، وتمثل روحاً من أرواح النحس التي تتسلط على بعض الكواكب ويستعان بها على النكاية وخدمة الشهوات[10].

ثانياً: أسماء الشيطان في الإنجيل

أفردت الأناجيل حيزاً واسعاً للحديث عن الشيطان سواء أكان ذلك في الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل، أم في باقي الرسائل، وأطلق العهد الجديد على الشيطان العديد من الأسماء التي كان لها دلالات عقدية على صفاته، وأعماله، وتجاربه، ومن أشهر تلك الأسماء:

1- **الشيطان:** الشيطان في المسيحية كائن حقيقي هو أعلى شأناً من الإنسان[11]. وقد أطلق هذا الاسم مفرداً، كما كان يطلق جمعاً على الأرواح الشريرة التي هي مرسلة من قبل الشيطان وتحت أمره وسلطانه. جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي:(فطُرح التنين العظيم "الحيةُ القديمة" المدعو إبليس والشيطان الذي يُضِل العالم كله) 9:12[12].

2- **إبليس:** وهو الاسم الأكثر استعمالاً، وكان يقرن أحياناً باسم الشيطان كما في النص السابق. وعندهم أنه لفظ يوناني معرّب أصله (ديابوليس، ديابلس)، وهو بمعنى المشتكي زوراً، القاذف، المجرب، الخبيث، الطاغي، العدو الكبير لله، المملوء من الكذب.

3- **بليعال:** أي الشرير، وكان كتّاب الأسفار المقدسة يلقبون به كل من كان ذميماً لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً[13]. ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: (وأي اتفاق للمسيح مع بليعال) 15:6.

4- **بعلزبوب:** اسم كنعاني فهو إله كنعان (إله عقرون) إله الفلسطينيين، من هنا كان معنى الاسم (بعل الأقذار، إله الذباب) لأنهم كانوا يحتقرون إلهة الوثنيين، ويعتبرونهم كشياطين، والأرجح أنه كان إله الطب عندهم، وهو أكبر جميع آلهتهم لذلك دُعي رئيس الشياطين.[14].

5- **أَبَدُّون، أَبُولّيُونَ، ملاك الهاوية:** ورد في رؤيا يوحنا: (ولها ملاك الهاوية ملكا عليها اسمه بالعبرانية أبدُّون وله باليونانية اسم أبُوليون) 11:9.

6- **رئيس سلطان الهواء:** (رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية) أفسس 2: 2.

7- **رئيس هذا العالم، إله هذا الدهر:** ورد في يوحنا (الآن دنيونة هذا العالم، الأن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً)31:12[15] فالشيطان هو المجرم ويُدعى (إله هذا الدهر)، حيث نجح في وضع برقع على أذهان غير المؤمنين فيبقيهم في ظلمة دائمة. [16].

8- **التنين، الحية القديمة:** جاء في رؤيا يوحنا: (هو ذا تنين عظيم... فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس الشيطان) 12 :3–9.

9- **المشتكي على الأخوة:** ورد في رؤيا يوحنا (وقد طرح المشتكي على إخوتنا). 10:12.

10- **الشرير: جاء في متى:** (نجنا من الشرير) 13:6.

11- **الذي له سلطان الموت:** فورد في الرسالة إلى العبرانيين: (الذي له سلطان الموت أي إبليس)14:2.

12- **أبو الكذاب، القتال:** جاء في يوحنا (ذاك كان قتالا للناس... لأنه كذاب وأبو الكذاب) 44:8.

مفهـوم الشيطـان اصطلاحـاً في الـتوراة والإنجيـل:

بمجموع ما ورد للشيطان من أسماء مختلفة ومتعددة في العهدين، نجد أنها تحوم حول كائن عاقل روحي نجس، له سلطان على كائنات روحية مثله، متحدة معه بنفس الصفات كالكذب والخداع والنجاسة وهم الشياطين. فالشياطين قوات روحية غير طبيعية استخدم لها العهد الجديد أسماء كثيرة، وهي قوات شر كلها ضد ملكوت الله، فهو العدو الأكبر لله ولقصد الله في فداء الإنسان[17]. ويسمى الفيلسوف توما الأكويني (1207م – 1274م) هؤلاء الشياطين جميعاً بالكائنات العقلية الذهنية تمييزاً لها عن الكائنات الحيوانية المولدة من التراب، ويقول إنها مسلطة على عقول البشر لاستدراجها واستخراج غاية ما انطوت عليه من الصدق، وقد يحدث ذلك بإذن الله وقضائه[18]. فهو العدو الكبير لله وللمسيح وملكوته وشعبه ولكل نوع من الحق، المملوء كذباً وخبثاً للبشر. بل نظرت المسيحية إلى الشيطان على أنه كائن حقيقي أعلى شأناً من الإنسان، ورئيس رتبة الأرواح النجسة، وطبيعته روحية وهو ملاك سقط بسبب الكبرياء، ويمتاز بكل امتيازات هذه الرتبة من الكائنات سواء أكانت عقلية كالإدراك والذاكرة والتمييز أم حسية كالعواطف والشهوات أم إرادية كالاختيار، وهو خبيثٌ قائدٌ للعصاة ضد البر، مطرود من الله[19]. ثم تطور مفهوم الشيطان (الديمنولوجي) الشيطانيات في العصور الوسطى وما بعدها، فكان مارتن لوثر

(1483 – 1546م) يقول عن الربا، وبيوت التجارة والمصارفة إنها مخترعات شيطانية، وإن الشيطان هو من يديرها، فوسموها (بالشيطانية)، وجعلوا الشيطان علماً على كل المساوئ[20].

ثالثاً: أسماء الشيطان في القرآن الكريم

عند النظر في القرآن الكريم نجد أن ما ورد ذكره من اسماء للشيطان (إبليس، الشيطان) فلفظة شيطان باشتقاقاتها المختلفة وردت بثمانٍ وثمانين مرة، بصورة الإفراد (الشيطان)، وكذلك بصورة الجمع (الشياطين، شياطينهم). وكذلك ورد اسم (إبليس) في القرآن الكريم بأحد عشر موضعاً، وكانت في مقام الدلالة على مخلوق واحد لا يصرف إلى غيره[21].

- **الشيطان:** لفظة عربية وليس كما قيل إنها عبرية، وذلك لأن اللغة العربية قد اشتملت على كل جذر يمكن أن يتفرع منه لفظ الشيطان، على أي احتمال[22]. فليس اسماً معرباً كما قالت المسيحية حيث جاء في سفر أيوب الحديث عن الشيطان وقصته مع أيوب عليه السلام، ومعلوم أن أيوب عليه السلام عربي، فقد كان قبل بني إسرائيل، ثم كان عند العرب صورة عامة وواسعة عن الشيطان وصفاته وأعماله. وأما من حيث الاشتقاق فقد اختلف علماء اللغة في النون فهل هي أصيلة من (شطن)، أم زائدة من (شاط)، وفي ذلك قولان:

القول الأول: أن النون أصلية في الشيطان، وعلى وزن فيعال، وبذلك يكون الاشتقاق من شطن.
والشيطان: فيعال من شطن إذا بعُد، وبئر شطون: بعيدة القعر، وشطن عنه: بَعُد، وأشطنه: أبعده. والشاطن البعيد عن الحق، الخبيث. فمن هذا الاشتقاق سمي الشيطان بهذا الاسم لبعده عن الخير وأمر الله والحق، أو من الحبل الطويل كأنه طال في الشر، وطرد من رحمة الله سبحانه لمخالفته إياه[23].

القول الثاني: أنه من شاط يشيط، فالنون زائدة، فلا يصرف؛ لأنه على وزن (فعلان). شيط: الشين والياء والطاء أصلٌ يدل على ذهاب الشيء إما احتراقاً وإما غير ذلك، فشيط من شاط الشيء إذا احترق[24].

ومن هذا الاشتقاق سمي الشيطان بذلك إذا احترق غضباً والتهب وهلك، والشطط مجاوزة القدر والحق في كل شيء، وهو الجور والظلم، والشاطي: الظالم[25]. يقول الزبيدي: (يقال من شطن إذا بعُد فيمن جعل النون أصلاً وقولهم الشياطين دليل على ذلك، وقيل: هو من شاط يشيط إذا احترق غضباً، قال الأزهري: والأول أكثر)[26].

وقد رجح كثير من أهل اللغة القول الأول وأن النون أصيلة، أي من الشطن بمعنى البعد عن الحق وأمر الله. ولو كانت زائدة لمنع من الصرف، مثل: عمران، ولما كانت أصلاً لم يمنع من الصرف، قال تعالى: ﴿**وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ**﴾ [الصافات: 7]. وإذا نظرنا في هذه الاشتقاقات نجد أن الأمر لم يقم في مقام التضاد والتناقض بقدر ما يقوم في مقام الاتفاق. ففي كلا الاشتقاقيين نجد من المعاني ما ينطبق على الشيطان سواء أكان من شطن بمعنى الابتعاد عن الحق وأمر الله، أم من شيط بمعنى الهلاك والاحتراق، فلا أثر للخلاف بين القولين والله أعلم.

- **إبليس**: اختلف العلماء في أصل هذه الكلمة على قولين:

أولاً: أن إبليس اسم عربي على وزن إفعيل مشتق من الأصل الثلاثي (بلس) فنجد كثيراً من أهل اللغة، ومن كتب في مصطلحات القرآن يدرجون هذا الاسم تحت هذا الأصل [27]. (بلس) أبلسَ الرجلُ: قطع به، وأبلس: سكت. وأبلس من رحمة الله: أي يئس وندم. وأبليس لعنه الله مشتق منه؛ لأنه أبلس من رحمة الله أي أُويسَ. والمبلس: اليائس، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب، قد أبلس. والإبلاس: الانكسار والحزن[28]. وقد ورد من اشتقاق هذه المادة في القرآن الكريم الفعل المضارع، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ**﴾[الروم: 12]. واسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم، قال تعالى: ﴿**فَإِذا هُم مبلِسُون**﴾ [الأنعام: 44]. ومجموع المعاني التي وضعت لهذه الاشتقاقات نجدها تنطبق تماماً على شخصية إبليس، فبعد طرده من الجنة نتيجة عصيانه لأمر الله عندما أمره بالسجود، كانت حالته من الحزن والانكسار واليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، وقطع به فلا حجة له في عصيانه وتمرده[29].

ثانياً: إبليس اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعَلَمية والعجمية. قال أبو اسحاق: لم يصرف لأنه أعجمي معرفة[30]. وأشار صاحب تاج العروس إلى أن إبليس لا يصح أن يشتق، وإن وافق معنى أبلَسَ لفظاً ومعنىً، فليُتنبّه لذلك[31]. وذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن إبليس لم يأت في القرآن إلا ممنوعاً من الصرف لأنه اسم علم أعجمي، ولو كان مشتقاً من الإبلاس وهو

اليأس لكان معروفاً. كما أن إبليس مخلوق قبل آدم، وسمى بهذا قبل أن يخلق الله آدم وقبل أن يتكلم أول عربي بكلمة عربية.

مفهـوم الشيطـان اصطلاحـاً:

الشيطان هو إبليس وذريته المخلوقون من النار، ولهم القدرة على التشكل، وهم يتناكحون ويتناسلون ويأكلون ويشربون، وهم محاسبون على أعمالهم، عاملون على التفريق والإغواء، وهم والملائكة على طرفي نقيض[32].

وأصبح يطلق على كل مخلوق متمرد داعٍ إلى الفساد والشر سواء أكان من الإنس أم من الجن، قال تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام: 112]. وكان يجالس الملائكة، ولما أمر الله الملائكة بالسجود وكان داخلاً في الخطاب أبى واستكبر، فطرد من رحمة الله، فأصبح رأس كل فتنة وفساد وشر، وهو أول كافر متمرد وهو أبو الشياطين، فيأس وطرد وقنط من رحمة الله، فإبليس شيطان، وليس كل شيطان إبليس. وعند النظر في الاستخدام القرآني للاسمين نجد أن اسم إبليس كان يطلق عليه عند عصيانه لأمر الله في الجنة، وحينما كانت تعود المعصية والضرر عليه بلس من رحمة الله، أما اسم الشيطان فكانت الآيات تطلقه عليه بعد معصيته لأمر الله ووقوع ضرره على غيره من حين آدم وحواء ومن ثم ذريتهما جميعاً.

فالتوراة والإنجيل والقرآن تشترك في اسمي (إبليس، والشيطان) وهما اسمان عربيان، وما وضع لهما من معاني نجدها تحوم حول شخصية الشيطان من حيث أوصافها وأفعالها. وما انفردت به التوراة والإنجيل من أسمائه كانت ذات أصول متعددة من ثقافات مختلفة، كنعانية، ويونانية، وبابلية، مثل: عزازيل، بعلزبوب، وغيرهما.

المبحث الثاني

أوصاف وأعمال الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن

دلت أسماء الشيطان على أوصافه وأعماله، واتفق الجميع على أنه مصدر للشر. وعند البحث فيما ورد من صفاته وأعماله في التوراة والإنجيل والقرآن نجد الفارق الكبير بين سلطانه في التوراة والإنجيل وبين ضعفه في القرآن الكريم.

أولاً: أوصاف الشيطان وأعماله في التوراة

لقد رسمت التوراة صورةً رمزيةً للشيطان خالطها الكثير من الغموض، على النحو الآتي:

1- لقد رسمت له صورة رمزية مادية تقوم على الوحشية والأذى، إما بصورة الأفعى[33]، أو بصورة الوحش المركب من رؤوس متعددة (دانيال 7:7) ن وغير ذلك.

2- أما عن أوصافه الخُلقية، فمنها:

أ- الشر والغش: جاء في سفر المزامير (يا إله تسبيحي لا تسكت لأنه قد انفتح علي فم الشر وفم الغش) مزمور 7:109.

ب- الاحتيال والخداع: (وكانت الحية أخدع حيوانات البرية) سفر التكوين 3:1-4.

ج- الكذب، عديم الفائدة: وهو معنى اسم بليعال كما سبقت الإشارة إليه في سفر صموئيل الأول 12:2.

د- ظالم الأمم وقاهرها: فجاء في سفر إشعيا (يا قاهر الأمم) 12:14.

هـ- مخاصمة المؤمنين ومقاومتهم، والقتل والإهلاك والإفساد، والوشي وإيغار الصدور.

هنا يرى الباحث أنه لا بد من الإشارة إلى عدة أمور، منها:

أولاً: أن حديث التوراة عن أعمال الشيطان حديث لا يميز الشيطان عن غيره من الملائكة الأبرار، بل حتى عن الإله عندهم، فما نسبته للشيطان من أعمال نجدها قد نسبتها للإله من الندم والجهل الإهلاك والإفساد في حق الأمم، فقد دعا الإله إلى قتل كل الرجال والنساء والأطفال والبهائم عند دخولهم أريحا كما جاء في سفر يشوع: (إن يشوع قال للشعب اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة... وصعد الشعب إلى المدينة لكل رجل مع وجهه وأخذوا

المدينة، وحرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف) 6: 16-21 وهو إله غير عادل وقاس يأخذ الأبناء بظلم الآباء[34] يأمر بالسرقة والنهب[35]. وقولهم هذا في حق الإله هو أقرب لعمل الشيطان، تعالى الله عما يشركون. ولهذا لم يشعر العبريون الأوائل بما يدعوهم إسناد الشرور إليه لأنهم كانوا يتوقعون من الإله أعمال كأعمال الشيطان[36].

ثانياً: إن الشيطان يملك القدرة والقوة الكاملة والسيطرة على الأرض، فيفعل وينتقل حيث شاء دون علم الرب: (فقال الرب للشيطان من أين جئت: فأجاب الشيطان الرب وقال: من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها) سفر أيوب 7:1.

ثالثاً: إن عمل الشيطان بالإفساد والإهلاك إنما كان بأمر الرب كما تذكر التوراة في قصة أيوب حيث قال الرب للشيطان:(هو ذا كل ماله -يقصد أيوب-في يدك)سفر أيوب،1: 6-12 (فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته) سفر أيوب2: 3-7 فبدأ الشيطان يضرب أيوب بالمرض والفقر وموت الأبناء.

رابعاً: حضور الشيطان لمجلس الرب والملائكة الأبرار، وجلوسه في وسطهم، فلم يُحرم من الجلوس إلى الحضرة الإلهية مع الملائكة، فجاء في سفر أيوب: (وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً من وسطهم) 1:2.

خامساً: أن الشيطان يقوم ببعض أعماله بحضور الرب، ومعلوم ما هي أعماله، وكان الرب ينتهره فقط، جاء في سفر زكريا: (يوشع الكاهن العظيم قائماً قدام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه فقال الرب للشيطان لينتهرك الرب يا شيطان) 3:1-2 فكان يضايق المؤمنين ويشتكي عليهم أمام الرب. ومن أشهر أعمال الشيطان في التوراة:

1- تجربة البشر: أي إغواؤهم على الخطيئة وارتكاب الإثم لذلك دعي الشيطان مجرباً[37]. فجرب آدم وحواء فأكلا من الشجرة[38]. وكذلك مقاومة الأنبياء والمؤمنين والشكوى عليهم.

2- الإهلاك والإفساد في الأرض لذا لُقب بالمهلك. جاء في سفر صموئيل الثاني 12:24.

وكيف فعل بأيوب ببقره وإبله وقتل غلمانه بحد السيف، وسقوط البيت على أبنائه وبناته وموتهم جميعاً، ومرض أيوب وغير ذلك كما تذكر التوراة. [39]وغير ذلك من الأعمال التي ترسم صورة الشر والفساد والإفساد.

ثانيا: صفات الشيطان وأعماله في الإنجيل

جاء الحديث عن أوصاف الشيطان وأعماله في العهد الجديد أوسع وأوضح مما كان عليه الأمر في العهد القديم، إلا أن الشيطان مازال يتمتع بصفات وقوى ملائكية، بل ويفوق الملائكة الأخيار أحياناً. فهو ملاك سقط بسبب الكبرياء ورغم ذلك يمتاز بامتيازات هذه الرتبة سواء أكانت عقلية كالإدراك والتمييز، أم حسية كالعواطف والشهوات، والصفة الشيطانية عندهم مرادف للصفة الجهنمية والدهاء وحب الأذى والتمتع بالإيذاء [40].

وقد ذكر الإنجيل مجموعة من الصفات للشيطان والأرواح الشريرة، منها: الصفات الخلقية، والصفات الخُلقية، والقوى المدركة العقلية. فذكر العديد من الصور المادية للشيطان، وكانت صوراً حيوانيةً تجمع بين البشاعة والتخويف. وقد استرسل المسيحيون الأوائل في الحديث عن الحية؛ لأنهم وجدوا فيها أصلح صورة لتمثيل الشيطان للحس[41]. فيُصوَر بالتنين كصورة رمزية ملون بالأحمر له سبعة رؤوس، وعشرة قرون، وعلى رؤوسه تيجان، وذنبه طويل، وفم كبير قادر أن يلقي منه ماء نهر وراء من يريد إهلاكه [42]. وأحياناً بصورة وحش طالع من البحر له سبعة رؤوس، وكان شبه نمر، وقوائمه كقوائم دب وفمه كفم أسد، وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً، رؤيا يوحنا 13: 1–4. وأحياناً يصوره بصورة الأسد الهائج، رسالة بطرس الأولى 8:5.

أما فيما يخص صفاته الخُلقية فهو الخبيث قائد العصاة، يعمل ضد البر والقداسة ومملوء بالكبرياء، فملكوته عدو الله [43]، فهو: أكثر الأرواح الساقطة شراً، فيقلع الخير دائماً ويزرع الشر، وأكبر عدو لله. وله سلطان على البشر، وهو الكذاب وخدّاع الناس، ويغريهم على ارتكاب الشر، ورئيس سلطان الهواء [44].

أما عن أفعاله فكان عمله وما زال على الديمومة فعل الشر بالأرض، وقلب مقاصد الله عز وجل. جاء في رسالة يوحنا الأولى (ومن يفعل الخطيئة فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ) 8:3. فمنذ نزوله إلى الأرض حضر الشر والفساد والويل للأرض (ويل لساكني الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم) رؤيا يوحنا 12:12. وقد ذكر الإنجيل العديد من قصص الأنبياء الذين تعرضوا لتجربة الشيطان وخداعه وفتنته، وقد أشارت العديد من النصوص إلى أن له سلطان مطلق على البشر. ومن صور أعماله كما يذكرها العهد الجديد:

1- يضع فخاخاً ويطرح شباكا بقصد إيقاع الضرر والأذى. (فيستفيقوا من فخ إبليس إذ اقتنصهم لإرادته) رسالة بولس الثانية إلى ثيموثاوس 26:2.

2- قتال الناس والكذاب، والمتمرسون في الشر يسمون بأولاد إبليس (أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعلموا ذاك كان قتالاً للناس من البدء...لأنه كذاب وأبو الكذاب) يوحنا 44:8. ويذهب شراح العهد الجديد إلى أن هذا خطاب لليهود فهم على طريقة إبليس، وهو قتالاً جالب الموت لآدم والجنس البشري[45].

3- يعوق عمل الرسل ويضربهم جسدياً ومعنوياً (أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس وإنما عاقنا الشيطان) رسالة بولس الأولى أهل تسالونيكي 18:2.

4- تجربة البشر فهو أكبر عدو لله وللإنسان، جاء في متى (ولا تدخلنا في تجربته، ولكن نجنا من الشرير) متى 6: 12. والمعنى الغالب للتجربة الإغراء على الخطيئة وارتكاب الإثم، لذلك دُعي الشياطين مجرباً[46]. ويقولون في تجارب المسيح من إبليس في بدء خدمته على الأرض كانت إغراء له وتغريراً بالتقوى، أو إيعازاً له بحب الشهرة والطمع، لكن المسيح انتصر على قوات الجحيم. [47] وقد جاء في إنجيل متى ذكراً لامتحان إبليس للمسيح[48]، كذلك امتحانه للتلاميذ (الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة) لوقا 31:22. وقيل في كيفية حدوث التجربة للمسيح إما أنها:

أ- جرت بالرؤيا لكن إحداثها لم تظهر بالرؤيا.

ب- أنها جرت بالفعل في البرية.

ج- أنها جرت بالخواطر على البال.

فالشيطان بسماح من الله اكتسب بعض السلطان على عناصر العالم الهيولية، وهو يستخدمها لمقاصده الخبيثة علماً بأنه ذكي يعرف صفات الإنسان وأمياله ويستخدمها للإيقاع به في الخطيئة[49]. جاء في مقولات يوحنا الدمشقي: (لا يستطيع الشياطين شيئاً إلا بأذن الله وعليه ليس للشياطين سلطة ولا سطوة على أحد، ما لم يسمح الله بذلك سماحاً تدبيرياً... لا تستطيع الشياطين إكراه الإنسان على الشرور، والتأثيرات الدنسة كلها تصل إلى عقولنا من قبل الشياطين، وقد سمح الله لهم بتجربة الإنسان، ولكنهم لا يقوون إكراهه؛ لأن فينا من القوة أن نقبل التجربة وألاّ نقبلها)[50].

وتشبه الأناجيل كيفية عمله كمن يأتي إلى الزرع الجيد، فيزرع في وسطه الزوان، فيزرع بدل الخير شراً. فجاء التلاميذ للمسيح وقالوا (فسر لنا زوان الحقل، فأجاب وقال لهم: الزَّارع الزرع الجيد

هو ابن الإنسان، والحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملكوت، والزوان هو بنو الشرير العدو الذي زرعه هو إبليس والحصاد هو انقضاء العالم) متى 13: 36-39.

ويشير برايان إلى أن الشيطان عنده تزييف لكل حقيقة إلهية، وهو يزرع العالم بأولئك الذين يشبهون التلاميذ(51). وله أعوانه في هذه التجارب وهم عصبة الأرواح الساقطة الذين شاركوه في العصيان الأول ويعملون معه لمخالفة إرادة الله(52). وكذلك من الإنس وهم من ساروا على طريقته، فورد في رسالة يوحنا الأولى: (بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس كل من لا يفعل البر فليس من الله وكذا من لا يُحب أخاه) 10:3. فيعمل عن طريق إثارة شهوات الجسد فهو (رئيس سلطان الهواء والروح الذي يعمل الآن في ابناء المعصية الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد) أفسس 2: 1-3. ويشير إلى أن الشيطان وجنوده مصممون على تدميرنا، فنحن في حالة حرب حتى النهاية، ولا يمكننا أن نكون لطفاء أو أن نظهر رحمة للعدو فهو يهاجمنا في ثلاثة مجالات هي: الجسد والنفس والروح، وفيما يلي بعض المجالات التي يجب أن نتطهر فيها:

الأذان والعينان والأنف والفم واللسان(53). ولكن ما زال السلطان المطلق حاضر في الفكر الكنسي، حتى أنه أجاز بعضهم للملائكة الأشرار أن يحكموا دولاً ومدناً ومبانياً من تايلاند ويوغسلافيا ونيويورك(54). وكذلك الأمر تأثيرهم على الأفراد عن طريق أفلام هوليود والرياضة والروايات وأعمال الحسد(55). حتى وصل الأمر إلى إسناد كثير من الأعمال التي حصلت إلى فعل الملائكة الأشرار، ومنها: استخدمت الملائكة الساقطة في القضاء على مصر أثناء الضربات العشر، تتحكم في مناطق كثيرة من العالم الأكاديمي علم النفس، والفلسفة، ويمكن لها أن تشفي وتصنع معجزات، وإخراج الأرواح من الجحيم وتعذب البشر(56). وهذا التصور غير صحيح ومخالف لكل منقول صحيح ومعقول صريح، بل هو إعطاء السلطان المطلق للشيطان، وإلغاء لإرادة الإنسان، وإيثارة للرعب بين البشر، ولعل صورة هذا هو المشاهد في واقع الناس اليوم على اختلاف دياناتهم.

ثالثاً: صفات الشيطان وأعماله كما يصورها القرآن الكريم

لقد أشار القرآن إلى صفات الشيطان، وصُورته سواء أكانت المادية منها، أم المعنوية، وأعماله وأساليبه كاشفاً لها، ومحذراً منها، وواصفاً إياه بأنه عدو بني آدم. فرُسمت له صورة في ذهن المسلم على النحو الآتي:

صفاته المادية: جاءت الآيات تتحدث عن مادة خلق إبليس وهي النار، وهو ما دعاه للاستكبار عن أمر الله بالسجود لآدم المخلوق من طين، قال تعالى: **﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾** [الأعراف: 12]. أما عن صورة الخلق، فنجد أنه سبحانه ضرب لنا المثال في صورة خلق الشيطان بشجرة الزقوم، قال تعالى: ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الصافات: 64-65]، يقول النسفي: (وشُبه برؤوس الشياطين لدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس) [57].

فاستقرت في أذهان الناس أن صورة رؤوس الشياطين قبيحة بشعة وإن لم تكن مرئية لهم. فثمر تلك الشجرة وما تحملها كأنه في تناهي قبحه وبشاعة منظره رؤوس الشياطين، تبشيعاً لها وتكريها لذكرها شبه المحسوس بالمتخيل غير المرئي، والعرب تشبه قبيح الوجه بالشيطان، وتشبه جميل الصورة بالملك[58]. كذلك من صفاته التزاوج والتكاثر، وقال تعالى: **﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾** [الكهف: 50]، وكذلك الأكل والشرب، فهم يأكلون ويشربون وكذلك دوابهم. ولعل هذا ما بينته السنة النبوية فجاء عنه صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عن طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء" [59].

صفاته المعنوية: وهي التي تكشف طبيعة العلاقة بينه وبين الإنسان، وكذلك علاقته بخالقه، وتجسد أعماله، وكلها كانت في مقام الذم والاستحقار والضعف، ولم يعطَ من الصفات كما أعطته التوراة والإنجيل، ومن أهم تلك الصفات والأعمال:

أ- الرجيم: الرَّجمُ: الرمي بالحجارة، اللعن، الرجيم: ملعون مرجوم باللعنة مبعدٌ مطرود، والرَّجمُ: الطرد [60]. وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مضافة للشيطان في ستة مواضع[61] منها قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**﴾ [الحجر: 34]. أي مطرود من الجنة محروم من كل خير ورحمة وكرامة.

ب- الوسواس الخناس: فيوسوس للإنسان بالشر والإفساد، جاثم على قلبه، فلا يخنس أي ينقبض ويضعف إلا عند ذكر الله عز وجل، وإلا يبقى موسوساً له في كل حين. قال تعالى: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِالنَّاسِ**﴾ [الناس: 4–5]. فما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش، إلا أنه في غاية الضعف والخنوس أمام ذكر الله عز وجل. فهي أشر أعماله فيلقي في قلوب بني آدم الأوهام والشكوك والوساوس الأمر الذي يصير عند الناس معصية بالقول والعمل لله عز وجل[62]. وبدأت بعد لعنهِ في الجنة، فباشر ذلك مع آدم وحواء، قال تعالى: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**﴾ [طه: 120] وتجلت هذه الصفة من خلال الأعمال التالية:

1- التزيين بالباطل والزخرفة والتسويل: فيزين المعصية لهم، ويرغبهم فيها ويقربها لهم، قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر: 39]. فما يكون من بعد ذلك إلا تلبس الإنسان بالمعصية إلا من رحم الله عز وجل.

2- الفتنة والغواية: قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**﴾ [الأعرف:27]. فنزغ الشيطان ما يكون منه على سبيل الإفساد من قول أو حركة، وخاصة في علاقة الأفراد بعضها ببعض، قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ [فصلت: 36]. بما يعرض على الإنسان من أوهام وشكوك وهواجس، فالملجأ من ذلك هو الله عز وجل.

ت- الخذول: بترك عونه ونصرته، فهذا هو أمر الشيطان مع الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا**﴾ [الفرقان: 29]. فيتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وأشار القرآن الكريم إلى العديد من صور ذلك الخذلان، قال تعالى: ﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الحشر: 16].

ث- المارد والمريد: أي العاتي، والشديد[63]. فهو الخبيث، الشرير. فتمرد وطغى على أمر الله عز وجل وطاعته، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَرِيدًا** ﴾ [النساء: 117]. فأطلق على إبليس أولاً بفجور وعتوه إلا أنه أصبح وصفاً لجنس الشياطين على العموم.

ج- الغرور: قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ فهو الذي استكبر وأبى واعتز بخلقه من النار فلا يغرنكم. فلم يصف القرآن الشيطان بالسلطان المطلق والسطوة والقهر كما سبق بيانه في التوراة والإنجيل، بل وصفه بالضعف نافياً لذلك السلطان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [آل عمران: 76]. والصفات السابقة أكدت ذلك من حرمانه ولعنه وضعفه، وأن عمله لا يدوم، وأنه يخنس عند ذكر الله عز وجل، وهو الخاسر قال تعالى:﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ يقول الشعراوي: (فالعداوة معلنة مسبقة، ولنفرض أنها غير معلنة، ألم يشهد آدم الموقف الذي عصى فيه إبليس أمر الله ولم يسجد لآدم؟ ... بل أخبر (الله) آدم أن الشيطان عدو له وزوجه)[64].

وتبدأ قصة الصراع بين الإنسان والشيطان منذ رفضه السجود واستكباره عن أمر الله، قال تعالى: ﴿**قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾ [الإسراء: 61]، فكان بعمله هذا من الكافرين، قال تعالى: ﴿**وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: 34]. قال تعالى: ﴿**فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[الأعراف: 13]. والصغار أشد الذل وذلك لمعصيته لربه، فيقعد للإنسان في كل طريق للخير والحق والنجاة، فيأتيه من كل جهة ليصده عن ذلك، وقد أقسم بعزة الله وسلطانه وقدرته ليغوين الناس، قال الله تعالى، مخبراً عنه:﴿**فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: 82]. وليحتنكن بني آدم أي يقودهم كما تقاد الدابة من حنكها. فوسوسته للإنسان هي أخطر وأعظم أعماله. فكانت معصية آدم بأكله وحواء من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها. وما زال هذا العمل قائم، قال تعالى: ﴿**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِالنَّاسِ**﴾ [الناس: 5]. فيستحوذ ويأمر الذين ساروا على خطاه، وسمعوا لوسوسته، وما أخنسوه بذكر الله، قال تعالى: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**﴾ [المجادلة: 19]، فخسروا الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [النور: 21]. فيعِد أولياءه بالخير كله، ولكن ما يلبث إلا وأن يتبرأ منهم في الدنيا والآخرة ولا يملك من نصرتهم شيئاً، قال تعالى: ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [النساء: 120]، فقد وعد آدم بالخلد والملك الذي لا يبلى

ولكن ماذا كانت النتيجة؟ وكذلك يثبط عن فعل الخير ويكسل ويخوف ولكن من يستجيب له؟ قال تعالى: **﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُم وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾** [إبراهيم: 22].

فينسي الإنسان كل خير وطاعة وبر، قال تعالى: **﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنعام: 68]. فلا يدع الشيطان عملاً فيه إضلال للناس وإفساد لهم في الدارين إلا وعمله، حتى أنه يحضر للإنسان في كل أمر عند طعامه، وشرابه، ودخوله بيته وغير ذلك، فيجري من ابن آدم مجرى الدم. فما دام أنه عدو فبماذا سيأمر وينهى؟ قال تعالى:**﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: 169]. أمام هذه الأعمال لم يترك الله عز وجل الناس هملا أمامه، بل أعطى المؤمن القوة في مواجهته، قال تعالى: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾** [الإسراء: 65]. وهذا إخبار بتأييده تعالى لعباده المؤمنين وحفظه إياهم من الشيطان، **﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾** أي حافظاً ومؤيداً ونصيراً[65]. وقال صلى الله عليه وسلم: " إن المؤمن لينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر"[66].

فليس له السلطان المطلق على النفع والضرر، والصحة والمرض كما وصفته التوراة والإنجيل، فهو مصدر لكل معصية وفساد بالوسوسة، ولكن كيده ضعيف كما وصفه القرآن، وما هو موجود في بعض كتب المسلمين وانتشر بين العامة فيما يخص سلطان الشيطان المطلق، فهو من الإسرائيليات التي تسربت لفكرهم.

المبحث الثالث

أصل الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن

لقد جاء الحديث عن أصل الشيطان في التوراة والإنجيل بشيء من الغموض أحياناً، والتناقض أحياناً أخرى، فهل هو من ذرية آدم أم من الملائكة، أم خلقاً آخراً؟ حتى أن القارئ يعيش بين متناقضات مموهة لا يصل من خلالها إلى أساس من اليقين يبني عليه معتقداً. بخلاف حديث القرآن الكريم، حيث أشار إلى خلقه، ومادة الخلق، ومعصيته لربه.

أولا: أصــل الشيطان في التوراة

لقد تحدثت المصادر اليهودية عن أصل الشيطان، وجاء الحديث مبسوطاً في التوراة والتلمود، إلا أن عنصر الخيال، والتناقض بين النصوص قائم، وظهور أثر عقائد أقوام أخرى في ذلك:

1- الخلط بين الشيطان والحيوان (الحية):

جاء في سفر التكوين: (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله) 1:3، وجاء في تفسيرها أن الشيطان دخل في الحية، فصار لها ذكاء وحكمة أكثر من كل الحيوانات التي خلقها الله، فجميع الحيوانات ليس لها عقل ولا قدرة على النطق، ولكن استطاعت الحية بالشيطان الداخل فيها أن تجذب الإنسان بالحكمة الشريرة إلى الخطيئة، ويبدو أن الإنسان قد لاحظ هذه الحكمة ولم يرفضها، فظهر شر الشيطان الساكن في الحية عندما نسب الكذب لله[(67)]. فهي خدعة شيطانية ومكر الحية، ووساوس شيطانية كهذه[(68)]. فالحية من الحيوانات البرية التي عملها الرب والمقصود بها هنا الشيطان، الخلط بين الحية والشيطان فيه إخراج للشيطان من أن يكون من جنس الملائكة، وأن أصله حيوان حقيقي مثل سائر الحيوانات التي خلقها الله عز وجل، والموجود وفي كل زمان وبيئة، (فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ... على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك)، التكوين 14:3. قرر الله عقاب الحية أولاً والمقصود بالأكثر الذي عمل فيها لذا سمي الشيطان بالحية القديمة[(69)]. ويشير العقاد إلى أن الربط بين الحية والشيطان هو أثر لعقائد أديان أخرى تأثر بها اليهود، فلم يكن الشيطان هو الذي أغوى حواء بالأكل من الشجرة، بل كانت الحية هي صاحبة الغواية هنا جريا على سنن الأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية، وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان تلاحظ فيه المشابهة بين نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز[(70)].

نجد أحياناً التوراة تصور لنا الشيطان من جنس الملائكة، وأنه ملاك كان عند الرب، ولكنه عصى أمر الرب، وتكبر واغتر، فسقط عن المجد المقدس الذي كان فيه، فتحول إلى روح خبيثة نجسة مفسدة، وكذلك هو حال من أطاعه ووالاه، فجاء في سفر زكريا: (وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه) 1:3.

وأما سفر اشعيا: (كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح، كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم، وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسي فوق كواكب الله) 14: 13–15.

فعندهم أن الله خلق الشيطان كاملاً، واختار أن يكون شريراً، فكان لوسيفر كاملاً في كل شيء من يوم خُلق حتى وجد فيه إثم، فخُلق لوسيفر كاملاً كما خلقت الملائكة الأخرى؛ لأن الله صالح ولا يمكن أن يفعل إلا الخير وكل ما خلقه صالح، ثم تغير الاسم من لوسيفر (حامل النور) إلى الشيطان (العدو المشتكي) إلى تغير شخصيته من الخير إلى الشر[71]. وجاء في سفر حزقيال: (كنت في عدن جنة الله كل حجر كريم ستارتك عقيق أحمر... سأطرحك إلى الأرض) 28: 13–18. ووُصف في سفر صموئيل الثاني بأنه الملاك المهلك الذي يفعل بالأمم ما يشاء (فندم الرب على الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى... فكلم داود الرب عندما رأى الملاك الضارب الشعب) 24: 16–17.

ونجد التلمود يقسم الشياطين إلى عدة أنواع: بعضهم مخلوق من مركب مائي وناري، بعضهم مخلوق من طين. وأما أرواحهم فمخلوقة من مادة من تحت القمر[72]. ويشير إلى أن بعض الشياطين من نسل آدم، فجاء فيه: (أنه بعد أن لعن الله آدم أبى أن يجامع زوجته حواء محضر له اثنتان من نساء الشياطين، فجامعهما فولدتا الشياطين) (وآدم كان يأتي شيطانه اسمها ليليت لمدة 130 سنة فولدت له شياطين) [73]. وأما حواء فإن المدة التي لم يقربها آدم فيها، ولدت من نكاحها من ذكور الشياطين، كما أن سليمان عليه السلام استخدم أمهات الشياطين، وكان يعاشرهن كما يزعم التلمود، وأنه يولد من بني آدم كل يوم جمعة من الشياطين عن طريق التناسل بينهما[74]. كما أن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات، غير عزيزة بخلاف أرواح اليهود[75].

فلم تقدم لنا التوراة ولا التلمود صورةً واضحةً لأصل الشيطان، وقد خلطت بين الحية الحيوان والشيطان، وأشارت إلى أنه كان ملك مقرب. ومع ذلك نجد من الطوائف اليهودية كالصدوقيين[76] من كان ينكر الغيبيات عموماً، ومنها إنكار وجود الشياطين[77]. ففي أقدم العهود لم يكن عند العبرانيين فارق بين خلائق الكائنات العلوية، وخلائق الكائنات الأرضية من إنسانية وحيوانية، ولم يكن عندهم كذلك فارق بين هذه الخلائق وخلائق الشيطان، فكان الشيطان يحضر بين يدي الله مع الملائكة، وكان الملائكة يعاشرون بنات الناس، وكان الإله نفسه يحب ريح الشواء، يحقد وينتقم كما يفعل كل مخلوق من مخلوقاته في الأرض أو في السماء[78].

ثانياً: أصل الشيطان في الإنجيل

يزعم الإنجيل أن أصل الشيطان (إبليس) ملاك مقرب مخصوص بصفات الكرامة، فأصله من رتبة دنيا من الملائكة، وكان أحد القوات الملائكية، وقد نصبه الله قائماً بحراسة نظام ما حول الأرض، والأرض نفسها، ولم يكن شريراً من طبيعته، بل كان صالحاً ومخلوقاً على الصلاح، ولم يضع الخالق في تكوينه أثراً للشر البتة، لكنه لم يحمل الإنارة ولا الكرامة اللتين خصه الخالق بهما، فحاد بمطلق حريته عما هو من طبيعته إلى ما هو خارج عن طبيعته، فانتصب تجاه الله صانعه مريداً أن يقاومه، فأصبح أول منتقل من الخير إلى الشر. والشر إن هو إلا فقدان الخير، كما أن الظلام هو أيضاً فقدان النور، وعليه إن صانعه قد خلقه نوراً وكوّنه صالحاً، وقد أصبح الشيطان ظلاماً بمطلق إرادته الحرة، وتبعه وسقط معه عدد لا يحصى من الملائكة الخاضعين له، وقد كانوا مع الملائكة، ومن طبيعتهم، فصاروا أشراراً[79].

يقول القديس أوغسطينس: (إن وضع الملائكة ليس متساوياً في جانبهم، أو على الأقل أن الصالحين منهم ما علموا حقاً بأنهم سعداء إلى الأبد إلا بعد سقطة الآخرين... لكنه منذ أن كان وجد خائناً للحقيقة، خارجاً عن جماعة الملائكة القديسين) [80]. ويقول: (لم يخلق الله إبليس شريراً والكتاب المقدس[81] ينظر إلى طبيعة إبليس لا إلى خبثه حين يقول: (إنه بداية عمل الله)، إذ لا شك في أن طبيعة ما لا عيب فيها سابقة للعيب الذي يفسدها... فقد شاء أن يكون إبليس الذي خرج صالحاً من يد الله أن يصير شريراً بإرادته الذاتية، وإذ أرسل إلى المناطق السفلى أصبح لعبة بين أيدي الملائكة) [82]. ونجد أيضاً من أشهر المحدثين بالعقائد المسيحية وممن جدد الخطاب الديني فيها بطريقة غلب عليها العقل، ومال فيه إلى الفلسفة توما الأكويني (1227-1274م) حيث يذهب إلى أن الشيطان كان في المنزلة العليا بين المخلوقات العلوية وكان امتحانه أعسر

من امتحان سواه[83]. من هنا ندرك أن أصل إبليس في المسيحية ملاك من المخلوقات العليا، ولكن سقط بفعل إرادته عند معصيته، ثم إن بعض الشياطين عندهم هم ملائكة لكنهم لما اتبعوا إبليس سقطوا. فالملائكة أمام أمانتهم وحفظهم لأمر الرب في نظر الكنيسة قسمان:

القسم الأول: المختارون أو القديسون، وهم من ثبت على أمانته وحفظه لأمر الرب.

القسم الثاني: الملائكة الأشرار، إبليس وأتباعه الذين لم يحفظوا أمر الرب وإرادته، ولم يثبتوا على ذلك، وضيعوا الأمانة، فأفسدوا وأهلكوا الأمم. لذلك لقبوا بالأرواح الشريرة، والأرواح النجسة، وهذا السقوط بعدما كانوا عليه من القداسة.

وقد سجل العهد الجديد بعض القصص فيما يخص القتال والملاحم للحرب بينه وبين ميخائيل وملائكته. أما فيما يخص علاقته بالحية، فالأمر عندهم كما في التوراة حيث إن الشيطان تكلم بلسان الحية. وقد ردت الكنيسة كثيراً من الآراء التي وردت في أصل الشيطان، ومنها:

1- نفي الوجود الفعلي المادي الحقيقي للشيطان والقول بأنه كناية عن الشر.

2- إنّ أصل الشياطين هم أرواح البشر الساقطين في الخطيئة المخالفون لأمر الرب وليسوا هم الملائكة الأشرار.

فأصل الشيطان في المسيحية هو ملاك كان له خصوصية عند الرب، والشياطين أو الملائكة الأشرار في المسيحية هم أقل عدداً من الملائكة الأبرار المختارين، وهم على درجات منهم الرؤساء ومنهم الأتباع. إلا أن بعض علماء المسيحية فرقوا بين الشياطين والأرواح الشريرة. فالأرواح الشريرة مرتبطة بالأرض، ولم تكن ملائكة لله من قبل، وتمتلك تلك الأرواح الشريرة بعض صفات الملائكة الساقطة، ولكن قوتها ومكانها أقل منها، وعادة ما توجهها الملائكة الساقطة التي تبدو أنها سادتها ومتفوقة عليها[84]. أما الملائكة الساقطون فليس لهم ارتباط بالأرض فبإمكانهم ترك هذه الأرض؛ لأن لديهم أجنحة وقد أتوا أساساً من السماء من فوق، وقد كانت الأشرار تسكن الأرض قبل الإنسان فتمردت على الرب، أي كان هناك من يسكن الأرض قبل الإنسان، (أشعياء 18:45).

ثالثاً: أصل الشيطان في القرآن الكريم

اختلفت كلمة العلماء المسلمين من المتقدمين والمتأخرين في أصل الشيطان، هل الشيطان من الملائكة أم من الجآنّ؟ وهي من مسائل الغيبيات، فالحديث عنها ليس بالرأي، إنما السبيل لمعرفتها هو الخبر الصحيح من الكتاب والسنة.

فالجآن مخلوق من طبيعة خاصة، له سنن تحكمه، وهم مكلفون بأمر الله ونهيه لهم، وما كان ذلك إلا بعد أن وصلتهم الدعوة، قال تعالى: **﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾** [الجن: 1]. وقد أشار القرآن الكريم إلى خلق إبليس وأنه مخلوق من نار، قال تعالى: **﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾** [الأعراف:12]. فهو مشترك مع الجن في مادة الخلق، قال تعالى: **﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾**[الحجر: 27].

ونعرض لقول ابن كثير هنا وهو في غاية الأهمية في ذلك، بعد ذكره لما أُثر من أقوال عن بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم بخصوص هذه المسألة، يقول:(وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة) [85]. وكان منشأ النزاع في أصله أهو من الملائكة أم من الجن؟.

القول الأول: إنّ أصله هو الجن، وليس من جنس الملائكة، وذلك:

1. اعتماداً على ظاهر نصوص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومنها قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾** [الكهف: 50].
2. جاءت آيات قرآنية كثيرة تفرق بين إبليس والملائكة في وجوه كثيرة، منها:

أ- لم يرد لفظ إبليس في القرآن إلا في مواطن الذم والمعصية علماً أنه ورد إحدى عشر مرة، تسعة منها في رفضه للسجود، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾** [طه: 116]. لم ترد إشارة قرآنية واحدة للدلالة على طاعته، أما الملائكة فقد جاءت الآيات القرآنية صريحة لله عز وجل قال تعالى: **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**[المائدة: 38]، ولم يستكبرون استكبار إبليس، بل أطاعوه بكل ما أمر ونهى، لكن إبليس أبى وقال تعالى: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾** [مريم: 44]. فكيف يكون إبليس من الملائكة إذاً؟.

ب- جاءت آيات القرآن تتحدث عن ذرية إبليس، فقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: 50]. فالشياطين يتناكحون، ويتوالدون، وهم ذريته، أما الملائكة فلا يتناكحون وليس لهم ذرية.

ج- كشفت الآيات القرآنية عن مادة خلق إبليس وهي النار، وفي ظنه أنها أشرف من الطين، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:12](86). أما الملائكة فلم يرد في القرآن أيّة إشارة إلى مادة خلقهم، ولكن جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم)** (87).

1. إن ما يخص الآيات التي دخل فيها إبليس في عموم الخطاب الموجه للملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبى﴾ [طه: 116]. فيُجاب عنها بأن الاستثناء الوارد في الآية استثناء منقطع، فلا يدخل المستثنى في جنس المستثنى منه، فلا يدخل إبليس في جنس الملائكة.
2. ذكر بعض المفسرين كابن كثير أن الله لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه وإن لم يكن في عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم؛ لذا دخل في الخطاب لهم وذُم لمخالفته الأمر.
3. ذكر الطبري أن الملائكة قاتلت الجن فأسرت إبليس وهو صغير، وكان مغموراً بين الألوف فكان يتعبد الله معهم، فأطلق عليه اسمهم لأنه تبع لهم كالحليف في القبيلة، فلما أُمرت الملائكة بالسجود لآدم سجدوا إلا إبليس أبى، فلذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، فعن شهر بن حوشب، قوله:﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة، فذهب به إلى السماء(88). ولكن هذا لا يُعد دليلاً لقربه من حديث الإسرائيليات، وقول المسيحية في القتال بين الملائكة الأبرار والملائكة الساقطة والأشرار، حيث أُسرت فيها الشياطين.

القول الثاني: إن إبليس كان من جنس الملائكة وعنصرهم، وقد أُثر هذا عن بعض الصحابة كابن مسعود، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهم، ومال إلى ذلك بعض المفسرين والمتكلمين واستدلوا على ذلك ببعض الأدلة، ومنها:

أ- قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 73-74]، قالوا إن الاستثناء في هذه الآية استثناء متصل، فإخراج إبليس بالاستثناء من لفظ الملائكة، دليل على أنه منهم، يقول القرطبي: ("إِلَّا إِبْلِيسَ" نصب على الاستثناء المتصل؛ لأنه كان من الملائكة على قول الجمهور: ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن المسيب وقتادة وغيرهم، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن ورجحه الطبري، وهو ظاهر الآية)[89].

ب-قيل في توجيه قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: 50]، عند أصحاب هذا الرأي أن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم، وخلقت الملائكة من نور، غير أن هذا الحي كان من خزان الجنة، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا، وكان له سلطانها، وسلطان الأرض، وكان اسمه قبل أن يرتكب المعصية عزازيل، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وعلماً وكان يسوس ما بين السماء إلى الأرض، فرأى لنفسه شرفاً عظيماً فذلك الذي دعاه إلى الكفر فعصى[90]. لكن حقيقة هذا الأمر هو ما ورد في إسرائيليات، ولا يصح في مثل هذا المقام، وقد سبق الحديث عن عزازيل في التوراة والإنجيل، وعن كونه من الملائكة المقربين، وله سلطان في الأرض والسماء، فهذا من الإسرائيليات التي نُسبت إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ج- استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: 158]، فقد سمى الله الملائكة هنا (جن) ولكن سموا بذلك لأنهم لم يظهروا للناس وكانوا تقصد قريش بقولها ذلك الملائكة.

وبعد النظر والموازنة بين الأدلة يتبين أن إبليس لم يكن من الملائكة لشدة الفارق بينه وبينهم في الصفات والأعمال وأصل الخلق. فعدة القول في ذلك قوله تعالى: **﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾**، وهذا ما صار إليه معظم علماء الإسلام، يقول القرطبي: (قال ابن العربي: ما ذكره المفسرون من أن إبليس كان له مكان في السماء السابعة يوماً من العام، فقول باطل؛ لأنه أُهبط بلعنة وسخط إلى الأرض فكيف يرقى إلى محل الرضا، ويجول في مقامات الأنبياء، ويخترق السموات العلى، ويعلو إلى السماء السابعة إلى منازل الأنبياء، فيقف موقف الخليل؟! إن هذا الخطب من الجهالة عظيم) [91]. ويقول الرازي: (لايجوز أن يكون المراد من قوله (كَانَ مِنَ الْجِنِّ) أنه -أي إبليس- كان خازناً للجنة؛ لأن قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، يشعر بتعليل تركه للسجود لكونه جنياً، ولا يمكن تعليل ترك السجود بكونه خازناً للجنة)[92]. ثم

ذكر الأدلة على كونه من الجن وليس من الملائكة. ويقول الشيخ الشنقيطي: (وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره: من أنه كان من أشراف الملائكة، ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأنه كان اسمه عزازيل كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها)[93].

أما بخصوص الإستثناء الوارد فهو استثناء منقطع أي لا يكون المستثنى جزءاً حقيقياً من المستثنى منه، ولا فرداً من أفراده[94]. فإبليس من الجن، وليس من جنس الملائكة، ولم يكن ملكاً مقرباً، ولم يكن صاحب السلطة في الأرض، ولا مالك الخزنة في الجنة، وما جاء في ذلك كان في مقام الإسرائيليات التي تعارض صحيح الاعتقاد عندنا. يقول الشيخ الشنقيطي: (وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال: إنه غير ملك؛ لأن قوله تعالى: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ و أظهر شيءٍ في الموضوع من نصوص الوحي) [95].

ويرى الباحث والله أعلم وأحكم أن المخلوقات التي كانت في الجنة: الملائكة المخلوقة من نور، وإبليس المخلوق من نار، وآدم وحواء المخلوقان من طين. والملائكة جبلت على الطاعة، أما إبليس وآدم وحواء فلا، فعصى آدم وحواء بالأكل من الشجرة، وعصى إبليس باستكباره عن أمر الله وامتثاله بالسجود لآدم، فاستحق إبليس وآدم وحواء الهبوط من الجنة، أما آدم فتلقى من ربه كلمات فتاب عليه وكانت له ذرية منها المؤمن والكافر، وأما إبليس فبقي على كفره وتعهد بإغواء بني آدم، وصرفهم عن الإيمان بالله عز وجل وكانت منه الشياطين.

ويرى الباحث:

1- إعادة النظر ببعض ما ورد في الكتب من الإسرائيليات بخصوص ذلك.
2- لم نجد ذكراً للحية في القرآن الكريم كما ورد في التوراة والإنجيل، حيث خلطت التوراة فيه بين الحية والشيطان إلى حد يصعب فيه التمييز بينهما، متأثرة بأساطير الأمم السابقة حول ذلك.
3- لم يثبت عندنا شي بخصوص وجود خلق قبل آدم، وما ورد بخصوص ذلك هي إسرائيليات تعارض صحيح ما ثبت في القرآن والسنة، وما قالوه بخصوص وجود الملائكة الأشرار على الأرض قبل آدم لا دليل عليه.

المبحث الرابع

أثر الشيطان على جسد الإنسان وروحه في التوراة والإنجيل والقرآن وعلاجه

لقد شغل الحديث عن أثر الشيطان على الإنسان حيزاً كبيراً من حديث الناس وتفكيرهم عند أهل الشرائع وغيرهم، ونشاهد في أيامنا هذه البرامج الفضائية شبه اليومية للحديث عن أثر الشيطان بالصرع أو التزاوج أو السحر، وقد كان حديث أهل الشرائع في ذلك متفاوتاً.

أولاً: أثر الشيطان على جسد الإنسان وروحه في التوراة

تحدثت نصوص التوراة عن بعض صور الأثر سواء أكان مادياً أم روحياً، وتحدثت عن السحر والعرافة، وآمنت اليهود بذلك وكانت تسنده إلى الأرواح الشريرة والشيطان. ففيما يخص الأثر الروحي والوسوسة فقد صورت التوراة الأفعى (الشيطان) ونجاحه في الوسوسة والإغواء لحواء وآدم. أما عن الأثر المادي فقد سبق الإشارة إليه وذلك بما حصل مع أيوب عليه السلام، والمتمثل بإلحاق الأذى المادي ببدن أيوب وأبنائه وماله وزوجاته، (فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته) أيوب 2: 4-7. حيث تعطي الشيطان السلطة المطلقة على جسد الإنسان وماله، وعلقت ذلك على إذن الرب، فقتل الشيطان أبناء أيوب، وسرق ماله وأهله. وتفسر اليهودية كثيراً من الأمراض التي تُلم بالإنسان والمصائب بأنها فعل الشيطان. أما بخصوص مسألة السحر فترى اليهود أنه اتصال البشر بالشيطان والأرواح الشريرة لكسب فعل ذلك ومعرفة الغيب، فيمارسون السحر والعرافة. فالساحر: هو من يدعي لنفسه قدرة فوق الطبيعة أو معرفة الغيب بطرق مختلفة، وقد أدعى السحرة أن لهم سيطرة على حوادث المستقبل وتعديلها، وزعموا أن لهم علاقة بالجان أو الآلهة، وقد كان هناك سحرة في مصر وفي أشور، وقد شددت التوراة ضد السحرة، وقد أمر الله بمنعهم بتاتاً غير أن شعب إسرائيل تهاون في حفظ هذه الوصية الإلهية، فبدأ الشعب يلجؤون إلى السحرة عند الحاجة[96]. وتفسر لنا التوراة أن ما فعله سحرة فرعون إنما هو بقدرة فوق طبيعة السحرة وذلك لاتصالهم بالأرواح الشريرة، فأحضر فرعون سحرته وكانوا بقيادة ساحرين كبيرين، ففعلوا بسحرهم مثل موسى وألقوا عصيهم فصارت حيات وما فعله السحرة هو التشويش والخداع الذي يفعله إبليس لغير المتمسكين بالكنيسة[97]. ولكن السحرة تعجز أمام قدرة الله، فعجزت السحرة أمام ضربة البعوض الذي كان على الناس والبهائم فأعلنوا أنها ضربة من الله وهذا يظهر ضعف الشيطان[98]. ولم يقتصر الأمر على السحر بل وصل الأمر إلى التنبؤ، وقراءة الكف، والفناجين، والتطلع في النجوم وهي حيلٌ

شيطانية ورجاسات نُهي عنها الشعب، وقد كانت هذه شائعة في الشعوب الشرقية[99]. ولقد أشارت نصوص التوراة إلى عقوبة من يعمل مثل تلك الأعمال، (ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئا...رأوا باطلاً وعرافة كاذبة القائلون وحي الرب والرب لم يرسلهم... ألم تروا رؤيا باطلة وتكلمتم بعرافة كاذبة) حزقيال 13: 3-9. فكل من يفعل السحر ويستشير الموتى مكروه عند الرب، (بسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك... إن هؤلاء الأمم الذين تخلُفهم يسمعون للعائفين والعرافين)، التثنية 18: 9-14 .

(بالسيف والجوع يفنى أولئك الأنبياء والشعب الذي يتنبؤون له يكون مطروحاً في شوارع أورشليم من جر الجوع والسيف وليس من يدفنهم هم ونساؤهم وبنوهم وبناتهم واسكب عليهم شرهم) إرميا 14: 14-16. وكذلك عقوبة من يتعامل مع الشياطين التي تسمى الجآن ويسمى المتعاملون معها بالسحرة، فإن تعدى أحد هذه الوصية وتعامل مع الشياطين فإن ذنبه كبير ويعاقب بالقتل رجماً بالحجارة[100]. وهذا ما أفصح عنه سفر لاويين (وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل بالحجارة، يرجمونه دمه عليه) لاويين27:20. والجآن والتوابع هم الأرواح الشريرة، والتوابع هم الذين يتبعون الناس ويمكن أن تضرهم فمن يتعامل مع الشياطين وينجس نفسه، ويتحدى الله لذا يقول أنا الرب أي ينبههم ليخافوا[101].

أما سبيل مقاومة الشيطان (فتذكر عندما يعرض الشيطان أي خطية أن الله القدوس أباك السماوي ينظر إليك فلا تنجس نفسك بالخطية)[102].

فلا تقبل الحوار معه في شكل أفكار تزعجك بلا فائدة، بل تؤدي إلى ابتعادك عن الله، فهذه هي علامات أفكار الشيطان. ولا تعطهِ فرصة بأوقات الفراغ ليدخل إليك، وانشغل بالله وبكل عمل صالح[103].

ثانياً: أثر الشيطان على جسد الإنسان وروحه في الإنجيل.

أطلقت لفظة الشيطان في الجمع على الأرواح الشريرة، وهي تسكن الناس وهذه الأرواح هي رسل من قبل الشيطان، وتحت أمره وسلطانه، وتدخل الناس والبهائم فتحدث فيهم أعراض الجنون والصرع[104]. وصوروا الشيطان بأنه أشبه برجل قوي يحمل سلاحه الكامل، ويسيطر سيطرة تامة على رعاياه لذلك يمسك في قبضته جميع الذين كانت الشياطين قد سكنتهم، ولم يكن أحد ليرده عن ذلك، ولم يكن أحد يقدر على أن يشكك بسلطانه[105]. وللشيطان طريقان في التأثير على الإنسان في المسيحية، فإما عن طريق الوسواس التي لا يراها، وإما أن يستولي عليه

ويسكنه فيؤثر على بدنه بالأوبئة والأمراض والصرع وغير ذلك، يقول برايان: (تؤثر بعض الأرواح الشريرة على الجسد والبعض على العواطف، والبعض الآخر على الروح. وتتخصص بعض الأرواح الشريرة في أعضاء معينة، مثل: العيون، والآذان، والكبد، وبعض الأرواح الشريرة تتسبب في حدوث السرطان) [106]. وتصرح الأناجيل أن دخول الشياطين إلى أجساد الناس أمر حقيقي يظهر على هيئة أمراض جسدية وعقلية، مثل: الخرس، والعمى، والجنون، والصرع وغير ذلك[107]. ومن شواهد ذلك ورد في متى: (إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه (إلى المسيح) فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس) 33:9. وقدم رجل ابنه إلى المسيح وكان الابن يزبّد من فمه، وتحدث له تشنجات عنيفة تتسبب في هزاله ونوبات تلقيه بالماء والنار، فقال المسيح: (أيها الروح الأخرس الأصم أنا أمرك اخرج منه ولا تدخله أيضاً، فصرخ وصرعه شديداً وخرج) مرقص 9: 25–23. وكانت تلك الأرواح إن خرجت إما أن تسكن بآخر أو بالبهائم، فعندما أخرج المسيح الأرواح النجسة من مجنونين (فالشياطين طلبوا إليه قائلين: إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير، فقال لهم: أمضوا فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير، وإذا قطيع الخنازير كله فدفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه) متى 8: 28–32. حتى أن الشياطين قد أثروا جسدياً على بولس: (ولئلا ارتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتوس 7:12، ولعل هذه الشوكة كانت إصابة في العين، أو وجعاً في الأذن. ولعلها كانت إصابة بالملاريا، أو صدعاً نصفياً أو تشوهاً ما في النطق أو الكلام، فهي غير معلنة فيه فهي محاولة من طريق الشيطان[108].

ومن آثار الأرواح النجسة في منظور المسيحية أنها تعطي العرافة للإنسان الذي تسكنه فيكتسب منها، حيث يذكر ما حدث مع بولس (وجدت بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة أن جارية بها روح عرافة استقبلتنا وكانت تُكسب مواليها مكسباً كثيراً... فضجر بولس والتفت إلى الروح وقال أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج في تلك الساعة) أعمال الرسل 16: 16–18. فأعطى العهد الجديد سلطة للشيطان في الابتلاء وإيقاع الضرر والمرض المادي والعقلي كذلك. فأصاب الناس بالجنون والصرع[109]، وأبطلوا أعمال الناس الصالحة، ويعملون في الأبناء المعاصي، بل أنه تسبب وجنوده في كل شر وبلية كالعواصف والحرائق والأوبئة. وقد حاكمت الكنيسة خلال القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر العديد من الأفراد بتهمة السحر؛ لأن الساحر أو العراف يدعي قدرة فوق الطبيعة أو معرفة الغيب خاصة عن طريق الأرواح النجسة[110]. وشاع أمر السحر كثيراً بين

المسيحيين فاعتادوا الذهاب لمشاهدة فصول السحر، وسؤال الجن، واستشارة الموتى، واستحضار الأرواح الشريرة، وهؤلاء يسلمون أنفسهم لأيدي الشيطان الذي يخدعهم ويعذبهم بأكاذيبه، وهذا العمل خطر وخطر جداً[111].

ولكن ما علاج تلك الأرواح والشفاء منها في المسيحية؟ تحدث الإنجيل عن أساليب مختلفة للشفاء[112]:

1- **الشفاء بالمسيح:** فالمسيح أثار هيجاناً عظيماً في النشاط الشيطاني على الأرض، وللمسيح عليه سلطان، وإن كان الشيطان يقاوم كل من ينطلق لخدمة الرب[113]. وله سلطة عليها، جاء في إنجيل متى (فأحضروا إليه جميع السقماء والمصابين بأمراض وأوجاع مختلفة، والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم) 24:4[114]، فكان المسيح يأمر تلك الأرواح بالخروج، ويسألها عن اسمها، وكان يضع أصابعه في أذان المريض ويلمس لسانه[115]. وقابلت اليهود ذلك بالإنكار واتهام المسيح أنه على صلة بالشياطين، فلا يخرج الشياطين عندهم إلا رئيس الشياطين، جاء في متى: (فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع...أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين)9:33-34[116].

2- **الشفاء بالتلاميذ:** ورد في إنجيل مرقس: (ودعا الاثنى عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة) 7:6. ورد فيه أيضاً (ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين) 3: 13-14.

3- **الشفاء بالإيمان والصلاة والصوم:** إن الإيمان بيسوع المسيح وبطبيعته الإلهية هي سبب للشفاء من الأمراض والخلاص من الشياطين، بل عجز التلاميذ عن إخراج بعض الأرواح فأخرجها اليسوع سألوه التلاميذ عن سبب عجزهم، فقال: (هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم) مرقس 9: 14-29[117].

4- **الشفاء بالميرون (المسح بالزيت):** للمسيحية شعائر يجب القيام بها، ولا يصح التخلي عنها، ويقولون فيها أنها فرائض مقدسة وصنعها المسيح، وهي أعمال حسية تشير إلى بركات روحية غير منظورة عندهم[118]. والمسح في الكتاب المقدس صب الزيت أو الدهن على الشيء لتكريسه لخدمته تعالى، وكان العبرانيون يدهنون رؤوسهم بالأدهان العطرة أيام الأعياد والفرح، وكان القدماء يدهنون رأس الضيف ورجليه، ومن ذلك أن مريم دهنت قدمي

يسوع بالطيب، وكانوا يدهنون أجساد المرضى بالزيت لشفاء أمراضهم، وكانوا يدهنون أجساد الموتى، ويراد بالمسح من الله تكريس الله نفس المؤمن لخدمته [119]. وجاء في إنجيل مرقس:(ودعا الإثنى عشر وابتدأ يرسلهم اثنين إثنين وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة...فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم) 6:7-13. ويعتقدون أن الدهن بالزيت إيماء رمزي يصور قوة الروح القدس الملطِّفة والمريحة[120].

وأصبح في اعتقاد المسيحية أن المسح هو نعمة البركة والقداسة التي تمنحها الكنيسة للمسيحية، حيث تحل روح القدس عليه فينال المعمودية المقدسة. والمسح على المريض هو سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس ويستمد له الشفاء من الله روحياً وجسدياً[121]. فكانت الكهنة تتلوا صلواتها على زيت الزيتون ثم تدهن بها المرضى أياً كانت تلك الأمراض إلى أن أصبح الأمر أقرب إلى الشعوذة، وطريقة للسيطرة على عقول المسيحية، وأخذِ أموالهم تحت مظلة البركة والمعمودية المقدسة وحلول روح القدس.

ثالثاً: أثر الشيطان على الإنسان في القرآن

معركة الشيطان مع الإنسان دائمة وهو قائدها، وفاءً بالعهد الذي قطعه على نفسه بإغواء بني آدم مستحلاً في ذلك كل الوسائل، وتاركاً في ذلك الأثر السلبي. ومن بعض صور الأثر التي وردت في القرآن الكريم، منها:

1- أثره على الجانب الروحي للإنسان: سبق الحديث عن أثره بالوسوسة والإغواء والتزيين لكل معصية، وكما ذكرت السنة النبوية أيضاً بعض صور ذلك، مثل: نحس المولود حين ولادته، الأحلام المزعجة، التخبط عند الموت وغير ذلك.

2- أما فيما يخص الأثر المادي[122]: فهي المسألة الأبرز التي طال حولها الخلاف بين علماء الإسلام وهي مدى سلطته على الإنسان بالمرض المادي والصرع والجنون، وقد دار الحديث في المسألة عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ [ص: 41]. وقال تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [الأنبياء: 83].

سبقت الإشارة إلى هذه الحادثة في التوراة، وحديث اليهود عن سلطة الشيطان على أيوب عليه السلام بقتل أولاده وغلمانه، وإهلاك أمواله وموت النساء. يقول القرطبي: (قال ابن العربي... وأما قولهم: أن الله تعالى قال له_ للشيطان_ هل قدرت من عبدي أيوب على شيء فباطل قطعاً... وأما قولهم: أن الله قال قد سلطتك على ماله وولده فذلك ممكن في القدرة، ولكنه بعيد في هذه القصة...وكذلك قولهم: أنه نفخ في جسده حين سلطه عليه فهو أبعد، والباري سبحانه قادر على أن يخلق ذلك كله من غير أن يكون للشيطان فيه كسب)[123]. وقد اختلف أهل التفسير في بيان مس الشيطان هنا في الآية ﴿**مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾. فهل هو الأذى المادي كالمرض؟ أم الوسوسة؟ أم غير ذلك؟ فما ذكرته بعض كتب التفسير من وصف لمرض أيوب البدني ودور الشيطان في ذلك، وقتل أولاده، ما هو إلا سرد لإسرائيليات تخالف صحيح الاعتقاد. وكذلك بعض التفسيرات كقول الزمخشري: (نسبه للشيطان، والشيطان لا سلطان له إلا الوسوسة أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك ويكشف البلاء) [124]. ومما لا شك فيه أن الأنبياء عصمت من أذى الشيطان فلا قدرة له عليهم. فالقول بإيقاع الأذى البدني عليهم أو القول بقبولهم وسماعهم لوسوساته أمر يعارض نبوتهم ويطعن فيها. ويرى البيضاوي رحمه الله أن إسناد المس إلى الشيطان، إما لأن الله مسّه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل أعجب بكثرة ماله، أو استغاثة مظلوم فلم يغثه، أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه، أو لأن المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه بالجزع[125]. كلام لا يليق ومقام النبوة. ويقول ابن حيان: (ولا يناسب مناصب الأنبياء ما ذكره الزمخشري ... ولا قدرة له على البشر إلا بإلقاء الوساوس الفاسدة لغير المعصوم، والذي نقوله: أنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله، على ما روي في الأخبار ... وأما إسناده المس إلى الشيطان فسبب ذلك أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم، فسأل عنه، فقيل: ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين، فحينئذ قال: ﴿**مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ**﴾ نزل لشفقته على المؤمنين. مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد منزلة مسه لنفسه؛ لأن المؤمن الخير يتألم برجوع

المؤمن الخير إلى الكفر)[126]. وقيل أشار بقوله ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ إلى تعرضه لأمراته، وطلبه أن تُشرك بالله، وكأنه يشتكي هذا الأمر كان عليه أشد من مرضه[127]. ولعل الرازي أحسن في تفسير هنا لهذه الآية، فشير إلى أن الشيطان لا قدرة له البتة على إيقاع الناس في الأمراض والآلام، والدليل عليه وجوه:

الأول: إنا لوجوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان، فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان، وكل ما حصل عندنا من الخيرات والسعادات فقد حصل بفعل الشيطان، وحينئذ لا يكون لنا سبيل إلى أن نعرف أن معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى.

والثاني: إن الشيطان لو قدر على ذلك فَلِم لم يسعَ في قتل الأنبياء.

والثالث: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾. أما بخصوص أيوب فالشيطان كان يذكره النعم التي كانت، والآفات التي حصلت، وكان أيوب يحتال في دفع تلك الوساوس، فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع إلى الله وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾. وقيل أنه لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان، وكان يقنطه من ربه ويزين له أن يجزع فخاف، وتضرع إلى الله تعالى وقال: ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾. وقيل أن الشيطان جاء لامرأة أيوب وقال: لو أطاعني زوجك أزلت عنه هذه الآفات[128]. فلم يدخل الشيطان إلى بدن أيوب عليه السلام ويلحق به الأذى ويتخبطه بالمرض، ويجعله مرتعاً للدود كما ذُكر، ويتصرف بماله، ويقتل غلمانه كما وجدنا ذلك في التوراة. ولم يقبل أيوب وساوس الشيطان إنما ركن إلى الله تعالى في دفعها عنه. ولم يقنط ولم ييأس. ولو كان ذلك على ما ذُكر من الشيطان مطلقاً، فلما نجده في الآية الأخرى نُسب للضر؟ ومعلوم أن النفع والضر بيد الله عز وجل، فهو القاهر فوق عباده. فهو تأدباً منه عليه السلام مع الله قال ذلك.

فالقرآن الكريم لم ترد فيه آية صريحة في بيان قدرة الشيطان على إلحاق الأذى البدني بالإنسان، بل وجدنا إبليس يُقر يوم القيامة بحدود سلطانه الذي كان على الإنسان في الدنيا، بالإغواء والوسوسة، قال تعالى:﴿ وَمَاكَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ

لِي﴾[إبراهيم: 22]. فليس الأمر كما سبق ذكره في التوراة والإنجيل أن الأمراض على اختلافها هي من الشيطان، وأن الزلازل والبراكين من الشيطان، وغير ذلك من فاسد القول عندهم.

المطلب الأول: صرع الجن للإنس بين الإثبات والنفي

إذا كان الصرع اختلاط وتخبط يصيب الإنسان في عقله ويؤثر على سلوكه وجوارحه، وتضطرب حركته، فلا يدرك ما يقول، فهذا في الواقع مشاهد ولا ينكره أحد، وذلك لظهوره وحصوله، لكن بماذا تفسر هذه الظاهرة؟ وما هي أسبابها؟ فهل تعود إلى تسلط الجن على جسد الإنسان فتظهر تلك الأعراض، أم هل هي أسباب تعود إلى بدن الإنسان وحده وإفرازات تؤثر على أعصاب المخ فيصاب بتلك الأعراض، من هنا ظهر الخلاف على النحو الآتي:

أولاً: المثبتون لصرع الجن للإنس: ذهب جمع من العلماء على اختلاف مذاهبهم من المعتزلة وأهل السنة وغيرهم، وعلى اختلاف حقول معارفهم من التفسير أو الحديث أو الفقه، إلى إثبات صرع الجني للإنسان، ومنهم: الطبري، وابن حزم، والقرطبي، وابن تيمية، والألوسي، وكذلك من المعتزلة القاضي عبد الجبار، والقاضي أبو يعلى. مستدلين على ذلك ببعض آيات القرآن الكريم وببعض الأحاديث النبوية، يقول ابن تيمية في معرض ذلك: (أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجني في بدن المصروع ... هذا وإن كانوا مخطئين في ذلك ولهذا ذكر الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون أن الجني يدخل في بدن المصروع) (129). مع هذا فإن من المعتزلة من يذهب إلى ما هو أبعد من قول ابن تيمية، فهذا القاضي عبد الجبار المعتزلي يعتبر رد ذلك هو رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كفر، يقول معلقاً على قول عمرو بن عبيد: المنكر لدخول الجن في أبدان الأنس دهري أو يجيء منه دهري:(وإنما قال ذلك لأنها قد صارت في الشهرة والظهور– يقصد الأخبار التي تشير إلى دخول الجن في بدن الإنس– كشهرة الأخبار في الصلاة والصيام، والحج والزكاة، ومن أنكر هذه الأخبار التي ذكرنا كان راداً والراد على الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا سبيل إلى علمه إلا من جهته كافر) (130).

ومن الأدلة القرآنية التي استدل بها أصحاب هذا الرأي، قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [البقرة: 275].

أما ابن حزم فيقول: (فصح أن الشيطان يمس الإنسان الذي يسلطه الله عز وجل عليه مسّاً كما جاء في القرآن، يثير به من طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدفاع كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف، فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده، وهذا نص القرآن وما توجبه المشاهدة، وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزَّامين والكذابين)[131]. أما عن كيفية الصرع كما يصورها ابن حزم، فيشير إلى أن الجن يوسوسون في صدور الناس، وعلمنا أن الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها إلى قذف ما يوسوسون في النفوس، فنشاهد الإنسان عندما يرى من له عنده ثأر فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته، ويرى من يحب فتحدث له حال أخرى ويبتهج، فعلمنا أن الله عز وجل جعل للجنّ قوى يتوصلون بها إلى تغيير النفوس. أما الصرع فذكر الله عز وجل أن تأثير الشيطان في المصروع إنما هو بالمماسة، فلا يجوز لأحد أن يزيد على ذلك شيئاً فقد قفا ما لا علم له به وهو حرام لا يحل[132].

ويقول القرطبي: (في هذه الآية دليل على فساد من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فِعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس)[133]. أما ابن كثير فيقول: (أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً) [134]. يقول الألوسي: (واعتقاد السلف وأهل السنة أن ما دلت عليه أمور حقيقية واقعة كما أخبر الشرع عنها، والتزام تأويلها كلها يستلزم خبطاً طويلاً) [135]. وأشار إلى أن المس: أي الجنون، يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا جُنّ، وأصله اللمس باليد، وسمي به لأن الشيطان قد يمس الرجل، وهذا لا ينافي ما ذكره الأطباء من أن ذلك من غلبة مرة السوداء، لأن ما ذكروه سبب قريب، وما تشير إليه الآية سبب بعيد[136]. ومال إلى هذا الشنقيطي. ومن المعتزلة من قال بذلك، يروي الجاحظ أن عمرو بن عبيد سمع ناساً من المتكلمين ينكرون صرع الجن للإنسان واستهواء الجن للإنس، فقال: وما ينكرون من ذلك، وقد سمعوا قول الله عز ذكره في أكله الربا وما يصيبهم يوم القيامة حيث قال: **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾**، ولو كان الشيطان لم يخبط أحداً لما ذكر الله تعالى

به أكله الربا، وما ينكرون من الاستهواء بعد قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾. ويستدل القاضي عبد الجبار على ذلك بقوله:(وإذ صح ما دللنا عليه من رقة أجسامهم وأنهم كالهواء لم يمتنع دخولهم في أبداننا، كما يدخل الريح والنفس المتردد الذي هو الروح في أبداننا من التخرق والتخلخل... فإن قيل إن دخول الجن إلى أجسامنا في هذه المواضع يوجب تقطيعها أو تقطيع الشياطين لأن المواضع ضيقة... قيل له: إنما يكون ما ذكرته إذا كانت الأجسام التي تدخل في الأجسام كثيفة كالحديد والخشب)[137].

أما في السنة النبوية، فقد وردت أحاديث كثيرة بطرق مختلفة عنه عليه الصلاة والسلام تشير إلى صرع الجن للإنسان في بدنه وعقله، وإلى معالجته. وقد رد منكرو الصرع جملة ما ورد في السنة من أحاديث من خلال نقد سند بعضها، أو الطعن لأسباب أخرى[138]. ولكن بعض تلك الردود خالطها الضعف وعدم المنهجية.

ثانياً: **المنكرون للصرع**. مال إلى هذا معظم المعتزلة كالجبائي وأبو بكر الرازي والزمخشري، وبعض أهل السنة كالقفال والبيضاوي وأبو السعود، مستدلين على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 257]. يقول الزمخشري: (لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم المصروع، وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيُصرع، والخبط الضرب على غير استواء، فورد على ما كانوا يعتقدون، والمس: الجنون، ورجل ممسوس، وهذا أيضاً من زعماتهم، وأن الجني يمسه فيختلط عقله، وكذلك جُن الرجل: معناه ضربته الجن. ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات) [139]. ولكن نقول إن كان صرع الشيطان للإنسان هو من العقائد الفاسدة عند العرب، فكيف يتخذ القرآن هذه العقيدة الفاسدة مثالاً؟ ومن أنصار هذا الرأي من أهل السنة أبو السعود، إذ يقول: (أي إلا قياماً كقيام المصروع، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع...

وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله فلذلك يقال جن الرجل... فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون) [(140)].

2- قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ**﴾ [إبراهيم: 22].

واستدل الجبائي بضعف الشيطان على فساد القول بصرع الجن للإنسان من عدة وجوه، منها: قوله تعالى حكاية عن الشيطان ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ**﴾. ولو كان الشيطان يقدر على أن يصرع ويقتل لصح أن يفعل مثل معجزات الأنبياء. ولِما لا يصرع جميع المؤمنين ويتخبطهم مع شدة عدواته، ويفسد أحوالهم(141). فظاهر الآية يدل على أن الشيطان لا قدرة له على تصريع أعضاء الإنسان، وعلى إزاله عقله كما تقول الحشوية والعوام.

وعند النظر يتبين أن القول بالتخبط الذي مال إليه جمهور المفسرين في الدلالة على صرع الجن للإنس في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾، لا يعني الإقرار بالسلطان المطلق للجن على الإنس والاجبار على فعل المعصية، والمرض وغير ذلك. قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾. كما أن الادعاء بأن الآية التي أشارت على تخبط الإنسان بأثر الشيطان إنما وردت على وفق ما يزعمه العرب في الجاهلية ادعاء غير صحيح لأن القرآن شبه حالة أكل الربا وقيامه يوم القيامة بالذي يتخبطه الشيطان من المس والتشبيه بشيء غير صحيح لا أصل له منزه عنه القرآن، فإذا شبه القرآن قيام أكل الربا بمن يتخبطه الشيطان من المس فقد دل على وجوده حقيقة(142). فحمى الله من وسوسته أهل الإيمان الذين أخذوا بالأسباب التي تدفع أذاه، فوكّل الله ملائكة بحفظ عباده، فيتعاقبون عليهم بالليل والنهار. وجملة القول في المسألة كما يرى الباحث:

1- أن الجن ليس لها سلطان مطلق على الإنس بالإجبار والإكراه والضرر المطلق، فتنفع وتضر وتلحق الأذى المادي والمعنوي بغير إذن الله، قال تعالى: ﴿**وَمَاهُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: 102].

فقد حمى الله عز وجل عباده المؤمنين من أذى الشيطان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾. فالمؤمن ليس أعزلاً أمام الشيطان إنما متسلح بذكره لربه في كافة شؤون حياته في مطعمه ومشربه وملبسه فلا سلطان له عليه.

2- ليس الأمر كما يدعي البعض وللأسف مما انتشر في مجتمعاتنا من تفسير كل مرض بدني أو نفسي على أنه صرع أو مس، حتى أصبح الأمر تجارة يمارسها البعض بصورة علاج لذلك، حتى كان للشعوذة أقرب منه للذكر. فللصرع أسباب متعددة منها ما هو عضوي في جسم الإنسان تتمثل بمظاهر الصرع، ومنها نفسي روحي.

3- التأثير الحسي للشيطان على الإنسان هو امتداد للوسوسة الشيطانية واستجابة الإنسان لها[143].

4- إن الله خلق الإنس والجآن، وكلف كل منهما، وميزة بصفات خاصة به، فالمؤمن هو الأقوى والأشد، وليس هناك سلطان مطلق لأحدهم على الآخر ولا يخرجون جميعاً عن سلطان الله وأمره.

5- إن علاج الصرع منه ما هو مادي يعود فيه المريض إلى الطبيب مع الاستعانة بالله أولاً، ومنه ما يعالج بقراءة الأذكار والرقى الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة، وليس كما نجد اليوم من رقى وأذكار مبتدعة لم تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ [الأعراف:200]. فالرقى والأذكار تدفع أذى الشيطان، وتشكل حصناً للمسلم من كل أذى، فتطرده من بيتك بذكر، وعن طعامك وشرابك بذكر، وعن ولدك وزوجك بذكر، وعن عقلك وبدنك بذكر. فيجب على المسلم دفع أذى الشيطان ووسوسته بما ثبت في الشرع، والابتعاد عما نشاهده اليوم ونسمع به من طرق للعلاج هي أقرب للشعوذة والسحر تحتوي في ثناياها الكفر والشرك، والطلاسم غير المفهومة، فكيف تدفع هذه الشيطان وهي من فعله؟! وما كان هذا من أولئك إلا وصولاً إلى كسب المال وتلاعب بعقول الناس، حتى أصبح عند البعض تجارة رابحة.

مقاومــة الشيطان كما يصورها القرآن :

بالرغم مما ذُكر من أوصاف للشيطان وأفعاله التي مارسها على أتباعه من الإنس والجن بالتضليل والإغواء وإخراج الناس من عبودية الله، إلا أن الآيات الكريمة بينت ضعفه ووسائل النجاة من كيده وفعله، ومنها:

1. الإيمان بالله تعالى وتوحيده: قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾ [النحل: 99–100]. فليس للشيطان سلطان وقدرة على المؤمن المتوكل على ربه، فسلطانه على الكافر الذي اتخذه ولياً. فالمؤمن وإن مسه الشيطان بشيء من وسوسة وإغواء وضرر تذكر عقاب ووعيد الله فاستغفر ولجأ إليه سبحانه.

2. ذِكر الله عز وجل: فالذكر حصن للمسلم في كل أمره، لذا وجدنا ذكر لمعظم الأعمال التي يقوم بها الإنسان من أكل وشرب، ونوم، ودخول بيت، وركوب دابة وغير ذلك، فالشيطان يخنس عند ذكر الله عز وجل. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف: 36].

3. طاعة الله عز وجل بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فكل عمل صالح هو حرز للعبد من الشيطان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[الحجر : 42].

4. التمسك بالكتاب والسنة واتباع جماعة المسلمين، وهجران طرق الظالمين وسلبهم الضالة فهي سبيل الشيطان، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتبعوه وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: 153].

5. الفقه في أمور الدين فهو حرز من الشيطان، فالفقيه أشد على الشيطان؛ لأن الجهل من مداخل الشيطان للإنسان.

المطلب الثاني: مسألـة التزاوج بين الإنس والجن في التوراة والإنجيل والقرآن

لقد صرحت التوراة بوقوع التزاوج بين الملائكة الأشرار (الشياطين) الذين ارتدوا مع إبليس عندما نزلوا معه إلى الأرض ببنات الناس (البشر)، وكان من ذلك التزاوج أولاد لكنّهم ساقطون أيضاً تبعاً للآباء في المعصية، وهم أتباع إبليس وذريته، جاء في سفر التكوين: (وبعد ذلك أيضاً

دخل بنو الله على بنات الناس وولدن أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو أسم) 6: 4. فترك أبناء الله هؤلاء المقام الملائكي المخصص لهم، واستبدلوا بمسكنهم في السماء مسكناً آخر على الأرض لكي يتزاوجوا مع زوجات من بني البشر، وإن الأولاد الذين ولدوا نتيجة ذلك كانوا (نفيليم) بمعنى الساقطين، وأن الله لم يرض قط هذا الشكل من الإتحاد الجنسي غير الطبيعي(144). علماً أن هناك اتجاه آخر عند مفسري العهد القديم، حيث نفوا هذا الأمر، وفسروا ذلك النص بأن المقصود بأولاد الله ابن شيث وأنوش من أبناء آدم الذين عاشوا مع الله، وبنات الناس هم نسل قايين، وسموا بذلك لأنهم عاشوا منشغلين بالحسد، فاختلط الخير بالشر، والجبابرة هم الأبناء الذين ولدوا من هذا التزاوج وعاشوا في الشر(145). ولكن معتقد اليهود في المسألة هو وقوع التزاوج بين الأنس والجن، ويتجلى ذلك عند قراءة نصوص التلمود. فذكر التلمود العديد من الروايات في وقوع هذا الأمر، ومن أيام آدم الأولى، فيذكر أنه بعد معصية آدم وطرده من الجنة كان تعيساً، فرفض أن يعاشر حواء حتى لا تلد نساء تعيسات، فحضر له نساء الشياطين وكان يجمعهنّ، وأما حواء فكان يأتيها ذكور الشياطين، فجاء في التلمود: (وكان آدم يأتي شيطانة اسمها ليلت وكان يأتيها لمدة 130 عام فولدت له شياطين)(146)، ثم عصيت ليليت الشيطانة زوجها آدم فعاقبها الله بموت أبنائها، فكان يموت لها في كل يوم مئة وهي تعوي كالكلاب وصحبها مائة وثمانون ملكاً من الأشرار(147). كما يذكر زواج سليمان عليه السلام من أمهات الشياطين، فجاء فيه (أمهات الشياطين، المشهورات أربعة استخدمهن سليمان، وكان له عليهن من السلطة، وكان يعاشرهن ويستمتع بهن، ومن هؤلاء الأربعة شيطانتان تسكنان جبال الشرق المظلمة، اسمها (آذا) و (آذائيل) وهما اللتان عملتا السحر لـ (بلعام) و (أيوب) و (يرترو). وكان الملك سليمان يتحكم في الطير والشياطين بواسطتهما، كما أنه كانتا السبب في حضور إبليس إليه) (148). ويستمر أمر التزاوج عندهم إلى أيامنا هذه، فيضيف التلمود (يولد الآن من بني آدم كل يوم جملة من الشياطين، ويزعم التلمود أن اليهود مبرأ نسلهم من هذا التلوث لذلك يؤكد أن غير اليهود نجسون وأنهم لم يقوموا على جبل سيناء بعد أن نجس إبليس حواء، أما الإسرائيليون فقد تطهروا وحدهم)(149).

أما في الإنجيل فقد ذهب كثير من شراح الأناجيل إلى وقوع زواج الجن من الإنس مستدلين على ذلك ببعض نصوصه، ومنها ما ورد في رسالة بطرس الثانية: (لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين

للقضاء... ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة) 2: 4- 11. فالملائكة الذين اخطأوا هم المذكورون أيضاً في هذه العبارات فلم يحفظوا رياستهم، وتركوا مسكنهم الحقيقي، وأن الله لم يرض قط عن هذا الشكل من الإتحاد الجنسي غير الطبيعي[150]. وجاء في يهوذا: (والملائكة لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام، كما أن سدوم وعمورة والمدن التي حولهما إذ زنت على طريق مثلهما رفضت وراء جسد أخر جعلت عبرة مكابدة نار أبدية). ونظن أن أولاد الله تركوا مقامهم الأول ككائنات ملائكية ونزلوا إلى الأرض بصورة بشر واقترنوا ببنات الناس، وهذا الإتحاد بالزواج كان مخالفاً لترتيب الله ورجساً في نظره تعالى، وهذه الزيجات المخالفة للطبيعة نتج منها نسل صاحب قوة وشر هائلين[151]. وظهر من شراح الأناجيل من ينفي وقوع التزاوج بين الإنس والجن وذلك لأن الملائكة عديمة الجنس، لكن معتقد المسيحية هو القول بوقوع التزاوج، وردّت على من النفاة بأن الكتاب المقدس سمى الملائكة أبناء الله، ثم إن الملائكة تجسدت بصورة إنسان وكل ذلك ثابت بنصوص الأناجيل، ثم إنهم لا يتزوجون في السماء فقط[152].

أما القرآن فجاء الحديث فيه صريحاً عن تزاوج الجن بعضهم ببعض، وأن لهم من ذلك ذرية من جنسهم، وكذلك الأمر الحديث عن تزاوج الإنس بعضهم ببعض، وأن لهم ذرية من جنسهم، فأشار القرآن إلى مقاصد الزواج في الإسلام، ولم يأت الحديث عن التزاوج بين الجن والإنس في القرآن مطلقاً، وقد كانت الآراء في هذه المسألة على قولين هما:

أولاً: القول بامتناع وقوع التزاوج بينهما، فلم يرد لا في القرآن ولا السنة من أن جنياً تزوج من إنسية أو عاشر أحدهما الآخر معاشرة الأزواج الجنسية. ولو كان ذلك واقعاً لكان أولى الناس به رسل الله، وخاصة محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانت رسالته للإنس والجن فهو أحوج إلى من ينقل رسالته إلى عالم الجن[153]. ثم أن القرآن أشار إلى مقاصد الزواج، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: 21]. أي خلق لنا من جنسنا نساءً آدميات ولم يجعلهن من جنس آخر، يقول ابن كثير: (أي خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً (**لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**) ...ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً، وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم، إمّا من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج بل تحصل النفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته

ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهنّ مودة ورحمة وهي الرأفة) [154]. والآيات التي تلي هذه الآية الحديث فيها متصل عن ذرية آدم وحواء، وعلى اختلاف الألوان والألسنة. فمقاصد الزواج من: السكن، الطمأنينة، المودة، الرحمة، الارتياح، ووجود النسل. وهذا مما لا يحققه الزواج عند اختلاف طبيعة كل من الزوجين، قال تعالى: **﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾**. ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم لا من قريب ولا من بعيد شيئاً في ذلك، ولو حدث هذا أو فهمه الأصحاب رضي الله عنهم لكانوا أسرع الناس إلى تنفيذه، ولو حدث لنُقل إلينا[155]. بل نظر أهل العلم إلى أن فتح مثل هذا الباب قد يكون ذريعة الزنا، فمن هنا تفسر أقوال العلماء في النهي عن ذلك، فتجد المرأة حاملاً فتسألها من زوجك؟ فتقول: من الجن، فيكثر الزنا. وممن ورد عنهم النهي في ذلك الحسن البصري، وقتادة، والحاكم، وابن قتيبة، وإسحاق بن راهوية، وذكر ابن حجر الهيثمي أنه المعتمد من قول الشافعية، وبه قال الماوردي، وكذلك محمد رشيد رضا، وغيرهم[156]. وما لنا نسرف بالاحتجاج بالإمكان العقلي على وقوع ما يستحيل عادة أن يقع؟ إن للإنس قوانينه التي يعيش بها، كما أن للجن قوانينه في حياته التي تخالف قوانين معيشتنا كما أن للجن تكوينه وتشكله، فكيف تكون الحياة والمعاشرة؟[157].

ثانياً: القول بوقوع التزاوج بين الإنس والجن، وليس هناك نصوصاً صريحة في ذلك إنما تأول أصحاب هذا القول العديد من النصوص القرآنية، ومنها قوله تعالى: **﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ﴾** [الرحمن:56]. فقد حاول أصحاب هذا الرأي تأول هذه الآية بأن الله عز وجل نفى أن يكون قد طمث أو جامع نساء أهل الجنة قبل أزواجهن أحد من الإنس أو الجن، وهذا يدل عندهم على وقوع التزاوج بينهم، ونُسب هذا إلى بعض الصحابة رضي الله عنهم، يقول الطبري: (لم يمسهنّ بنكاحٍ فيدميهنّ إنس قبلهم ولا جان)[158]. وما قيل من أن الخنثى من ولد الجان وذلك إذا أتى الرجل زوجته في أثناء الحيض، أو أن والد بلقيس كان جنياً فهذا مما لا يصح فيه شيء. ويرى الباحث هنا أن هذا الحديث في الآية كان بخصوص عالم الآخرة الذي له سننه وأحكامه التي تخالف عالمنا هذا، وكان الحديث بخصوص الحور العين المخلوقة من نور، وليس الإنسيات المخلوقة من طين، فقد يكون الزواج من الحور ممكناً لكل من الإنس والجن المؤمنَين. ثم إن إبليس كان في الجنة وآدم كذلك، والحور العين في الجنة، فلماذا لا يكون هذا إشارة إلى أنهن لم تطمث من قبل؟ فليس في الآية ما يدل على زواج الإنس من الجن أو العكس.

(فلا تصلح الآية دليلاً على ذلك لأن الآية تتحدث عن اشتراك الإنس والجن في الاستمتاع بالحور العين، لا التزاوج بين الإنس والجن وحتى هذا الاشتراك في الاستمتاع بالحور العين لا يستنتج منه إمكان التزاوج لأن هذا في الآخرة، وهي لها سننها التي تخالف عالم الشهادة في الدنيا، ولا يمكن بحال أن تتخذ كل ما يحدث في الآخرة دليلاً على إمكان وقوعه في الدنيا(159).

كما حاول أصحاب هذا الرأي الاستدلال بقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [الإسراء: 64]. ويُرد ذلك بأن معنى الآية هي مشاركة الشيطان للإنسان في ماله بالمال الحرام، وولده بتهويد الأبناء وتنصيرهم. فقوله صلى الله عليه وسلم: (لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً) (160). ليس فيه دليلٌ على أن الشيطان يعاشر المرأة معاشرة جنسية كمعاشرة الرجل، وإنما هو توجيه كريم من رسول الله بذكر الله تعالى عند إتيان المرأة، وثمرة ذكر الله تعود على الولد الناتج من تلك المعاشرة(161).

وأما قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ استكثرتم مِّنَ الإنسِ**﴾ [الأنعام، 128]، يقول الرازي:(فنقول: هذا لابد فيه من التأويل؛ لأن الجن لا يقدرون على الاستكثار من نفس الأنس؛ لأن القادر على الجسم وعلى الإحياء والفعل ليس إلا الله تعالى، فوجب أن يكون المراد قد استكثرتم من الدعاء إلى الضلال مع مصادقة القبول)(162)، والاستمتاع هو ما يجدونه الإنس من شهوات وملذات في إغواء الجن.

ولعل الراجح عند أهل العلم عموماً، النهي عن ذلك والقول بعدم وقوعه، لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**) [المؤمنون: 5-7].

فمسألة التزاوج بين الإنس والشياطين هي من عقائد اليهود، وافتروا كذباً بأنها وقعت لعدد من للأنبياء وتركوا من ذلك ذرية. واستمرت هذه العقيدة عند بعض طوائف المسيحية، فتزوجت الملائكة الأشرار من بنات الناس كما يدّعون، وتسربت هذه العقيدة إلى فكر بعض المسلمين. أما عند النظر في القرآن الكريم فيظهر أن القول بذلك يخالف مقاصد الزواج، وليس في القرآن أدنى إشارة إلى ذلك الزواج إلا بعض التأويلات الفاسدة لبعض النصوص. وما يمارسه بعض

الأشخاص في هذا الزمان من القول بالزواج من الجن، أو يدعون معالجة حالات الزواج هذه، فهو محض افتراء على دين الله عز وجل، وهو سبحانه أعلم بذلك.

المبحـــث الخامـــس

مصيـر الـشيطـان في الـتوراة والإنجيل والقرآن

من أهم متعلقات الحديث عن الشيطان هو مصيره، والمآل الذي سيؤول إليه ومن اتّبعه من الإنس والجن. وعند النظر في مصيره في التوراة والإنجيل والقرآن نجد أن هناك تفاوتاً كبيراً بينها في الحديث عن ذلك على النحو الآتي:

أولاً: مصير الشيطان في التوراة

مما هو معلوم أن التوراة لم تتحدث عن عالم الآخرة والحساب، فكان الحديث عن الجزاء أكان ثوابياً أم عقابياً في الدنيا فقط دون الإشارة إلى أي نوع آخر من الجزاء في الآخرة، (فاليوم الآخر عند اليهود إنما هو يوم من أيام الحياة الدنيا، فهو يوم نصر على أعدائهم، وهذا ما يؤكده سفر أشعياء: (فيقال في ذلك اليوم هو ذا إلهنا الذي انتظرناه هو يخلصنا) سفر أشعياء 13:24)[163]. وهذا ما نجده من حديثها عن مصير الشيطان، حيث أشارت إلى مصيره بالحبس في الهاوية والنار لكنها في الدنيا، ولم نلحظ أية أشارة إلى عقاب الآخرة، فمصير الشيطان فيها يأتي على صورتين:

أولاً: مصيره بالخروج من الجنة. (فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع العداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها وهو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه) التكوين 16:3. فهذا العقاب للشيطان بالخروج من الجنة واللعن والطرد هو من صور العقاب الدنيوي، وليس في ذلك أدنى إشارة إلى عقاب الآخرة.

ثانياً: السقوط بالهاوية (أسفل الأرض): فقد صور لنا سفر أشعياء وكذلك سفر حزقيال صورة أخرى لمصير الشيطان وعقوبته، وهي أيضاً عقوبة دنيوية تمثلت بحرقه بنار، وسقوطه في أسفل الأرض (الهاوية)، فجاء الحديث من خلال تصوير رمزي لذلك حيث تمثل الشيطان وكأنه ملك من ملوك الدنيا أفسد وأساء، فجاء في سفر أشعياء (الهاوية من أسفل مهتزة لك لاستقبال قدومك منهضة لك الأخيلة جميع عظماء الأرض... أهبط إلى الهاوية... تحتك تفرش الرِمة وغطاؤك الدود كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح. كيف قُطِعت إلى الأرض يا قاهر الأمم... لكنك

انحدرت إلى الهاوية إلى أسفل الجُب ... وأما أنت فقد طُرحت من قبرك كغصن أشنع كلباس القتلى المضروبين بالسيف الهابطين إلى حجارة الجُب كجثة مدوسة) 15:14-20. ولعل ما جاء في سفر حزقيال يؤكد ذلك: (سأطرحك إلى الأرض وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك...فأخرج ناراً من وسطك فتأكلك وأصيرك رماداً على الأرض أمام عيني كل من يراك) 28:17-19. فالحديث عن مصيره كما هو ملاحظ حديث غامض وهو في الدنيا. ومن الجدير بالذكر في هذا الموضوع أن الديانة اليهودية تأثرت بالإسلام وأخذت عنه موضوع الميعاد الأخروي، ومن ذلك (سعدايا الفيومي) في كتابه (الأمانات والاعتقادات)، وكذلك موسى بن ميمون في كتابه (دلالة الحائرين)، حيث اعتبرا الإيمان بالميعاد الأخروي الأصل الثالث عشر من أركان العقيدة اليهودية(164).

ثانياً: مصير الشيطان في الإنجيل

اختلف الحديث هنا عما كان في التوراة، حيث رُبط مصيره هنا بمجيء المسيح، كما أشار إلى مصيره في الدنيا والآخرة على النحو الآتي:

أولاً: مصيره بالخروج من الجنة والسقوط للأرض. ورد في رؤيا يوحنا: (وحدثت حرب في السماء، ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته... فطرح التنين العظيم الحيةُ القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته... ويل ساكني الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالماً أن له زماناً قليلاً) 12: 7-12. فهُزم التنين وطرح إلى الأرض ويفقد أي حق في الاقتراب إلى السماء هو ومؤيدوه، ولاحظ وصف يوحنا له: التنين العظيم، الحية القديمة، إبليس، وصار في وسع السماء أن تفرح باندحاره، لكن هذا الخبر بالنسبة إلى الأرض والبحر سيئ، لأنه عازم على سكب غضبه على أوسع نطاق ممكن(165).

ثانياً: مصير الشيطان في الدنيا: وذلك بتقييده وحبسه في الدنيا، فيستريح العالم منه، ثم يحل مدة وجيزة عند نهاية ألف سنة، فيحارب الكنيسة إلى أن يأتي المسيح، فهي من العلامات التي تسبق مجيء المسيح الثاني، ورد في رؤيا يوحنا: (ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده، فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم في ما بعد حتى تتم الألف السنة، وبعد ذلك لا بد أن يحل زماناً يسيراً... ثم متى تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا

الأرض) 20: 1-8. فبعد ذبح الرب للأعداء صغاراً وعظماء، وفشل الوحش إبليس باتحاده مع جيوش العالم لحرب المسيح أُسر الوحش، والنبي الكذاب وطرحا حيين في بحيرة النار المتقدة بالكبريت، فقتل المتمردين بسيف الرب، فقبل أن يبدأ الملك الألفي يجب أن يقيد الشيطان، لكي يتم هذا يأتي ملاك نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة بيده بمعنى ربط ربنا الشيطان فنجد هنا مرحلة أخرى في تقييد الشيطان، فقبض الملاك على الشيطان، وقيده ألف سنة، فخلال الملك الألفي يكون العدو الرئيسي محجوزاً في الهاوية، والهاوية تُختم لكي لا يستطيع أن يخرج ليضل الأمم، ونحو نهاية ملك المسيح سوف يحل الشيطان لأجل تمرده الأخير والقصير ثم متى تمت الألف سنة، يُحل الشيطان من الحجز، ويخرج إلى أربع زوايا الأرض ليضل الأمم المعادين للمسيح ويدعون هنا أن يأجوج ومأجوج، وبعد تجنيد جيش من المتمردين الأشرار يزحف الشيطان على أورشليم المدينة لكن ناراً تنزل من السماء فتهلك الجيش(166).

وجاء في رسالة يهوذا: (والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام) 6. أي ارتداد وتمرد الملائكة الذين أخطأوا، وهم الآن مكبلون بقيود أبدية تحت الظلام حتى يحين موعد دينونتهم النهائية، وهناك ارتدادان للملائكة على الأقل، فأحدهما وقع عندما سقط الزهرة (لوسيفيروس) مورطاً في تمرده هذا مجموعة من الكائنات الملائكية، وهؤلاء الملائكة الساقطون هم غير مقيدين في الوقت الحاضر فهم الشياطين (الأرواح الشريرة) الناشطون في حرب الرب، والارتداد الآخر للملائكة تركوا مقامهم كملائكة ونزلوا إلى الأرض واختلطوا ببنات الأرض(167).

كما أن الرب أعطى الرسل أيضاً سلطان على الشياطين، فجاء في إنجيل لوقا (فرجع السبعون بفرح قائلين يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك، فقال لهم: رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء. ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء) 10: 17-19. ثم إن مفسري الكتاب المقدس جامسون وفاوست وبراون أعادوا صياغة هذه الكلمات على الشكل التالي: (... لقد رأيت الشيطان ساقطاً من السماء وذلك فجأة كالبرق، وهذا السقوط للشيطان هو حدث مستقبلي، فميخائيل وملائكته هم الذي سيطرحونه خارج السماء قبيل تقلد المسيح زمام الملك على الأرض) (168). ولكن

الشيطان ما زال يقاوم بشدة مقاصد الله في العالم لكنه أصيب عند الصليب بجرح مميت له زمان قليل بعد، ومصيره محتوم، أنه عدو مهزوم[169].

ثالثاً: مصير الشيطان في الآخرة: جاء الحديث عن مصير الشيطان وأعوانه وأتباعه يوم القيامة بأكثر من موضع في الأناجيل، مشيرةً إلى النار الأبدية وبحيرة النار والكبريت التي سيصير إليها، جاء في إنجيل متى: (ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدةُ لإبليس وملائكته...فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية) 25: 41-46. فعندما يجلس المسيح لمحاكمة الناس يقسمهم إلى: الخراف، والجداء، وإخوة المسيح، ومن ثم يأمر الرب الجداء أن يبتعدوا عنه إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، وهكذا يمضي الجداء إلى عذاب أبدي، فنار الجحيم معد لإبليس وملائكته[170]. فيدان الشيطان في اليوم الأخير ويعاقب في بحيرة النار الأبدي، فيقبض عليه ويقيد بالسلسة ويطرح في الهاوية ويختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد، وفي النهاية يطرح في بحيرة النار والكبريت ويعذب نهاراً وليلاً إلى الأبد[171]. (إبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين) رؤيا يوحنا 10:20، يقول يوحنا الدمشقي: (قد أُعدت النار التي لا تطفأ، والعقاب الأبدي لإبليس وشيطانيه وللذي يتبعونه...ويجب أن نعلم أن السقطة للملائكة هي على ما هو الموت للبشر)[172].

ثالثاً: مصير الشيطان في القرآن الكريم

أشارت الآيات القرآنية إلى كفر الشيطان وذريته وكل من اتبع خطواته سواء أكان من الإنس أم من الجن، وإلى المصير المحتوم والعقوبة المترتبة عليهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: 27]. فبعد استكباره لُعن وحُرم من رحمة الله، فجاءت الآيات تشير إلى مصير إتباعه في الدنيا قبل الآخرة من الخذلان والخسران، والفساد، ودخول سُبل الهلاك. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا**﴾ [النساء: 119]. يقول الإمام الرازي: (وإنما قال: ﴿**خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا**﴾؛ لأن طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة الخالصة من شوائب الضرر، وطاعة الشيطان تفيد المنافع الثلاثة المنقطعة المشوبة بالغموم والأحزان والآلام الغالبة، والجمع بينهما محال عقلاً، فمن رغب في

ولايته فقد فاته أشرف المطالب وأجلها بسبب أخس المطالب وأدونها، ولا شك إن هذا هو الخسار المطلق) [173]. فمصير طاعة الشيطان يلمس أثرها في الدنيا بالضرر بكل جوانبه النفسية والمادية وغيرهما. قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[المجادلة:19]. أما في الآخرة فالنار مصيره وأتباعه، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [السجدة، 13]. وفي معرض بيان القرآن لذلك يذكر لنا بعضاً من صور الحوار بين الشيطان وأتباعه من الإنس والجن في النار، وجاء ذلك في مقام النهي عن إتباعه، والتحذير منه. قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [إبراهيم: 22]. فبعدما قضى الله عز وجل بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، قام فيهم إبليس خطيباً ليزيدهم حزناً إلى حزنهم، وحسرة إلى حسرتهم، فقال:﴿**إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ**﴾ أي على ألسنة رسله، فوعدكم في إتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعداً حقاً، وخيراً وصدقاً، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، قال تعالى مخبراً عن الشيطان: ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً**﴾، ثم يتبرأ الشيطان منهم قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ**﴾ أي ما كان لي دليل فيما دعوتكم إليه ولا حجة، فاستجبتم لي فلا تلوموني اليوم فإن الذنب ذنبكم، فما أنا بمنقذكم[174].

فيرى الباحث أنه لم يخرج حديث التوراة عن مصير الشيطان عن أساس اعتقادها باليوم الآخر، وأنه من أيام دنيانا هذه، كان عقابه متمثلاً بسقوطه من الجنة إلى الأرض، ودخوله النار المحرقة بعد سقوطه في أسفل الأرض (الهاوية)، فلم يخرج المصير عن الإطار الدنيوي. كذلك يجد حديث الإنجيل القائم على التناقض وعلى آثار بعض عقائد وأساطير الأمم الأخرى، فأشارت الأناجيل إلى المصير بالخروج من الجنة، وكذلك عقوبة السجن في الدنيا في مُغر الأرض مقيداً بالسلاسل، وإصابته بقروح مميتة إلا أنه حي، والذي يعاقبه بذلك هو المسيح كما سيعاقبه بالنار الأبدية؛ لأنه هو الذي يملك يوم الدينونة، وهذه العقوبة تنسحب أيضاً على زمرة من الملائكة الذين ارتدوا مع إبليس، وتركوا رياستهم. أما حديث القرآن الكريم عن ذلك فقد جاء بإشارة إلى مسألة خروجه من الجنة وهبوطه إلى الأرض مع آدم وحواء، واستحقاقه للعن والطرد من رحمة الله تعالى، وما ورد في بعض كتب التفسير حول الحية وعقابها وتقييده في الدنيا وإصابته بالجروح

فهو من الإسرائيليات التي سلف بيانها. ثم جاءت الآيات تبين مصيره في الآخرة وخلوده في النار، ومن اتبعه من الإنس والجن، والله عز وجل هو الذي يقضي بين الخلائق وليس المسيح. ولم تشر الآيات إلى أية عقوبة لإبليس في الدنيا، سوى اللعن والحرمان، فلا سجن ولا حرب يُصاب بها بجروح مميتة ، كالأساطير المدونة في الأناجيل.

كلمـة في عبادة الشيطـان في التوراة والإنجيل والقرآن:

ظهر في الآونة الأخيرة جماعة تدعي عبادة الشيطان، وتضم قلة من أهل الشرائع الثلاث، فتمجد الشيطان بذاته وصفاته وأعماله، وتحاول التأسي به في ذلك، وتجسد ذلك بطقوس عبادته، فأسست كنيسة له، وادعت أنها تملك كتاب تعاليمه. وكشفت عن نفسها مؤخراً من خلال أعياد وعبادات مخالفة لكل الشرائع الدينية، بل وللفطرة الإنسانية. فصورته ظهرت في الشرائع السماوية من خلال ما سبق. وعبادته أمرٌ مخالف لها، فكل عبادة للغير الله هي عبادة للشيطان، قال تعالى: ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾ [مريم: 44]. وكذلك في المسيحية (فماذا أقول؟ أَإِنَّ الوثن شيء، أو إنّ ما ذُبح للوثن شيء؟ بل إن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله، فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين) رسالة بولس الأولى على أهل كورنثوس10: 19- 20. فعبادة الأوثان مرتبطة به باستخدامهم لها، فيسطرون على قلوب وعقول من يعبدونها[175]. إلا أن بعض طقوس عبادة الشيطان ظهرت في اليهودية كما سبق بيانه عند تقديمهم القرابين لعزازيل إله الصحراء (الشيطان). فوجب على أهل الشرائع وخاصة في هذه الأيام التحذير من هذه الجماعة وبيان خطرها على السلوك الإنساني في إباحة كل محرم وضار.

النتائـج والتوصيـات :

1. كثير من أسماء الشيطان في التوراة والإنجيل مستوحاه من ثقافات مختلفة، كاليونانية، وكنعانية، وبابلية.
2. لا يتصف الشيطان بمطلق القدرة والسطوة على الفعل، وإلحاق مطلق الأذى المادي بالناس كما وصفته التوراة والإنجيل، بل وصف القرآن فعل الشيطان وكيده بأنه ضعيف، فليس له السلطان المادي المطلق على المؤمنين، وإنما أشار بظاهر الآيات القرآنية إلى أثر وسوسة

الشيطان واغوائه للمؤمنين. أما مسألة الصرع فقد دار الخلاف بين أهل الإسلام حول وقوعه أو إنكاره، وكل من الفريقين تأول الآيات القرآنية في ذلك كما ظهر خلال البحث. وليس كل صرع مصدره الجن، فمنه ما هو عضوي، ومنه ما هو أثر لوساوس الشيطان.

3. إبليس ليس من جنس الملائكة، ولم يكن ملكاً مقرباً، ولا خازناً للجنة كما ذكرت التوراة والإنجيل.
4. خالف حديث التوراة والإنجيل حديث القرآن كثيراً فيما يخص مسألة مصير الشيطان.
5. مسألة زواج الجن من الإنس هي من عقائد اليهود والنصارى، ولم يصح في ديننا منها شيء.
6. تسربت كثير من الإسرائيليات إلى كتب التفسير فيما يخص الحديث عن الشيطان.

توصـي الـدراســة :

1. القيام بدراسات علمية شرعية لاستخراج الإسرائيليات الواردة في كتب التفسير فيما يخص الحديث عن العقائد.
2. تحذير المسلم من الأفكار التي تهدم صحيح الاعتقاد كالخوف من الشيطان والاعتقاد بأنه القادر على النفع والضرر، والقول بزواج الشيطان من الإنس أو العكس.

الهـوامـش :

(1) نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين، **قاموس الكتاب المقدس**، دار مكتبة، العائلة، القاهرة، ط4، 2000م، ص533.
(2) العقاد، عباس، **إبليس**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1969م، ص103.
(3) نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين، **قاموس الكتاب المقدس**، دار مكتبة، العائلة، القاهرة، ط4، 2000م، ص533.
(4) العقاد، **إبليس**، ص46.
(5) **سفر أيوب** (وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم...) 1: 6-8. سفر الأيام الأول 21: 1

(6) **سفر المزامير**، المزمور 109: 1-7.
(7) **قاموس الكتاب المقدس**، ص620.
(8) العقاد، **إبليس**، ص51-52.
(9) **سفر القضاه** 22:19.
(10) العقاد، **إبليس**، ص50-51.
(11) **قاموس الكتاب المقدس**، ص533.
(12) لوقا 10: 17-18./ متى 9: 33-34.
(13) **قاموس الكتاب المقدس**، ص189.
(14) **المرجع السابق نفسه**، ص183. للمزيد انظر: متى 34:9. متى:24:12، لوقا15:11
(15) **رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس** 4:4.
(16) وليم ماكدونالد، **تفسير الكتاب المقدس للمؤمن**، دار الأخوة، شبرا القاهرة، 2005م، ج2، ص867.
(17) القس عزيز، فهيم، **الفكر اللاهوتي في رسائل بولس**، مصر، دار الثقافة، 1977م، ص60.
(18) العقاد، **إبليس**، ص129.
(19) **قاموس الكتاب المقدس**، ص(533-534).
(20) العقاد، **إبليس**، ص(132-133).
(21) عبدالباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر، بيروت، 2000م، الشيطان ص485. إبليس ص170 .
(22) العقاد، **إبليس**، ص 46.
(23) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م، ج7، ص(120-121).
(24) **المرجع السابق نفسه**، ج7، ص122.
(25) **المرجع السابق نفسه**، ج7، ص119.
(26) الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس**، تحقيق نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط1، 2011م، ج5، ص710.

(27) ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص482. عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص 170.

(28) **المرجع السابق نفسه**، ج1، ص(482– 483).

(29) عند النظر في آيات القرآن نجد أن الآيات التي ورد فيها لفظ إبليس كانت على النحو الآتي:

أ- تسع آيات من أصل إحدى عشر آية كانت حول إباء إبليس السجود لآدم عليه السلام (إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) سورة الحجر، آية 31، سورة البقرة آية34، سورة الأعراف آية 11، سورة الحجر، آية 32، سورة الإسراء آية 61، سورة الكهف آية 50، سورة طه آية 116، سورة ص آية 74، سورة ص آية 75، وهي سور مكية إلا البقرة وفي ذلك رد على من ادعى أن حديث القرآن عن الشيطان ما كان إلا في القرآن المدني، وهذا زعم لأن كثير من ألفاظ الشيطان كانت دلالة على إبليس.

ب- آيتان من أصل إحدى عشر، لدلالة على إغوائه وإفساده وإتباعه ومصيره، كما في سورة الشعراء آية 95، سورة سبأ آية 20.

(30) ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص482.

(31) الزبيدي، **تاج العروس**، ج1، ص681.

(32) عبيدات، عبد الكريم نوفان، **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة**، دار إشبيليا، الرياض، 1419هـ، ص468.

(33) **قاموس الكتاب المقدس**، ص95، (أفعى).

(34) **سفر التثنية**، 9:5

(35) **سفر الخروج** 3: 21–22

(36) العقاد، **إبليس**، ص102.

(37) **قاموس الكتاب المقدس**، ص255.

(38) **سفر التكوين** 3: 1–6.

(39) **سفر أيوب** 1: 12–19.

(40) العقاد، **إبليس**، ص46.

(41) **المرجع السابق نفسه**، ص121.

(42) **قاموس الكتاب المقدس،** ص224. للمزيد انظر: رؤيا يوحنا 12: 13-19. يوحنا 13: 1-4. بطرس الأولى 5: 8.

(43) **المرجع السابق نفسه،** ص534. فجاء في رسالة كورنثوس الأولى: (إن الله الذي هو أمين لا يسمح بأن تجربوا فوق طاقتكم، إنما يضع للتجربة حداً لتطيقوا احتمالها)13:10.

(44) **المرجع السابق نفسه،** ص15-16.

(45) وليم ماكدونالد، **تفسير الكتاب المقدس،** ج1، ص454.

(46) **قاموس الكتاب المقدس،** ص255.

(47) **المرجع السابق نفسه،** ص255.

(48) **إنجيل متى** 4: 1-11.

(49) **قاموس الكتاب المقدس،** ص534.

(50) يوحنا الدمشقي، **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي،** ص(93-94).

(51) وليم ماكدونالد، **تفسير الكتاب المقدس،** ج1، ص103.

(52) **قاموس الكتاب المقدس،** ص534.

(53) برايان، ج، بايلي، **دراسة للعالم الروحي من حولنا،** حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر، 2005م، ص144.

(54) **المرجع السابق نفسه،** ص64.

(55) **المرجع السابق نفسه،** ص77.

(56) برايان، **دراسة العالم الروحي من حولنا،** ص86-87.

(57) النسفي،عبد الله، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الفكر، دمشق، مجلد2، ج4، ص(21- 22).

(58) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991م، ج23، ص99.

(59) صحيح الإمام مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم2018.

(60) ابن منظور، **لسان العرب،** ج5، ص161.

(61) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم،** ص386.

(62) قال صلى الله عليه وسلم: (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء))، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب أن للملك لمة وللشيطان لمة، ح 2988.

(63) الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، ص259.

(64) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، إدارة البحوث الإسلامية، الأزهر، ج1، ص269.

(65) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم**، دار الجيل، بيروت، ج3، ص50.

(66) **مسند الإمام أحمد**، ح 8940.

(67) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، **إعداد مجموعة من كهنة الكنيسة**، ج1، (سفر التكوين)، ص(41-42).

(68) تشارلس ماكنتوش، **شرح الكتاب المقدس**، (سفر التكوين)، ص31.

(69) **الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم**، ط1، (سفر التكوين)، ص46.

(70) العقاد، **إبليس**، ص103.

(71) برايان، **العالم الروحي**، ص(120-121).

(72) الدسوقي، إبراهيم، **خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 2008م، ص229.

(73) **المرجع السابق نفسه**، ص230.

(74) **المرجع السابق نفسه**، ص230.

(75) الخطيب، محمد، **مقارنة الأديان**، ص113.

(76) الصدوقيون: طائفة يهودية تنحدر من طبقة ارستقراطية وكانوا يمثلون الغنى والدين والسلطة والمكانة في المجتمع اليهودي، وكانوا ينكرون البعث والحياة الآخرة والملائكة والشياطين والجنة والنار. انظر: الخطيب، محمد، **مقارنة الأديان**، ص120-121.

(77) الخطيب، محمد، **مقارنة الأديان**، ص121.

(78) العقاد، عباس، **إبليس**، ص108.

(79) القديس يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان المسيحي الأرثوذكسي، عربه عن النص اليوناني الأشمندريت أوريانوس شكور، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، بيروت، ط1، 1984م، ص93.

(80) القديس أوغسطينس، مدينة الله، نقله إلى العربية يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000م، مجلد 2، ص25.

(81) الكتاب المقدس: هو مجموعة الأسفار التي يعتقد اليهود والمسيحيون أنها كُتبت إما عن طريق الوحي أو الإلهام، ويقولون: أنه مجموع الكتب الموحاة من الله والمتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه، ومجموع النبوات عما سيكون حتى المنتهى، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع بني البشر، وفي الكتاب المقدس جميع أنواع الكتابات من نثر وشعر وقصص وفلسفة وأمثال، ويتكون من قسمين: الأول: العهد القديم (التوراة) ويتضمن أربع مجموعات: أسفار موسى الخمسة، الأسفار التاريخية وهي إثنا عشر سفراً، وأسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفراً، وأسفار الأناشيد وعددها خمسة أسفار. والثاني: العهد الجديد (الإنجيل) ويتضمن: الرسائل التاريخية وتشمل الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل، والرسائل التعليمية وتشمل اثنتين وعشرين رسالة ألّف أكثرها بولس. انظر: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص 762.

(82) القديس أوغسطينس، مدينة الله ، مجلد2، ص29.

(83) العقاد، إبليس، ص129.

(84) برايان، العالم الروحي، ص91.

(85) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3، ص 87، عند تفسير سورة الكهف، آية 50.

(86) سورة الحجر، آية 33، سورة الإسراء آية 61.

(87) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة، ح2996.

(88) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط محمود شاكر، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص259.

(89) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م، ج1، ص 294.
(90) **المرجع السابق نفسه**، ج1، ص 295.
(90) المرجع السابق ، مجلد 8، ج15، ص 209.
(92) الرازي، التفسير الكبير، مجلد 1،ج2، ص196.للمزيد انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص74.
(93) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الرئاسة العامة لإدارة البحوث، الرياض، 1984، ج4، ص121.
(94) حسن، عباس، النحو الوافي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج2، 318.
(95) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج4، ص 121.
(96) قاموس الكتاب المقدس، ص460.
(97) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، ج2، ص52. سفر الخروج، 7: 10-11، سفر الخروج: 22:7
(98) **المرجع السابق نفسه**، ج2، ص60.
(99) قاموس الكتاب المقدس، ص618، ومن صور تلك الحيل الشيطانية:
رصد النجوم ومقاسمة السماء، ورد في سفر إشعيا 47: 11-13.
النظر في الكؤوس المملوءة ماء، سفر التكوين، 5:44
صقل السهام وسؤال الترافيم والنظر في الكبد، سفر حزقيال 21: 21-23
التعامل مع الشيطان وسؤال الأرواح الشريرة، سفر أرميا 14:14
(100) **الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم**، ج2، ص491.
(101) **المرجع السابق نفسه**، ج2، ص484.
(102) **المرجع السابق نفسه**، ج2، ص491.
(103) **المرجع السابق نفسه**، ج1، ص43.
(104) قاموس الكتاب المقدس، ص534.
(105) وليم ماكدونالد، تفسير الكتاب المقدس للمؤمن، ج1، ص311.
(106) برايان، دراسة للعالم الروحي، ص111.

(107) قاموس الكتاب المقدس، ص535.

(108) وليم ماكدونالد، تفسير الكتاب المقدس، ج2، ص909. انظر إنجيل لوقا 16:13، انحناء ظهر المرأة كان سببه الشيطان.

(109) الجنون: اضطراب عقلي يجعل الإنسان خالياً من الفكر الصائب، ويذكر الإنجيل بعض الحالات فيها وينسبه إلى الأرواح الشريرة بالإضافة للأمراض الحديث. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص275.

الصرع: اللفظة اليونانية المقابلة مشتقة من القمر لاعتقاد القدماء أنه يعتري صاحبه بسبب ضوء القمر أو في رؤوس الأهلة، وهذا يختلف عن سكنى الشياطين؛ لأنه كثيراً ما كان ناتجاً عن أسباب أخرى. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص541.

(110) قاموس الكتاب المقدس، ص460.

(111) تشارلس ماكنتوش، تفسير العهد القديم (سفر التثنية)، ص410.

(112) وليم ماكدونالد، تفسير الكتاب المقدس للمؤمن، ج1، ص186.

(113) **المرجع السابق نفسه**، ج1، ص186.

(114) أفسس 6: 10-6/ أفسس 4: 27-31/ رسالة يعقوب 4: 7-8.

(115) وليم ماكدونالد، تفسير الكتاب المقدس للمؤمن، ج1، ص208.

(116) متى 12: 22-24/ أعمال 5: 12-18/ لوقا 11: 14-18/ مرقس 3: 6-11/ يوحنا 8: 48.

(117) مرقس 10: 46-52/ متى 21: 18-22/ رسالة يعقوب 5: 15-16.

(118) أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، ص114.

(119) قاموس الكتاب المقدس، ص(859-860).

(120) وليم ماكدونالد، تفسير الكتاب المقدس للمؤمن، ج1، ص204. انظر: رسالة يعقوب 13: 5-15.

(121) الخطيب، محمد، مقارنة الأديان، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط2، 2009م، ص344.

(121) ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تشير إلى الأذى المادي: كمهاجمة وجه النبي بالنار، ونهي النبي عن لعب الصبيان وقت الغروب، وبعض حالات المرض التي ذكرتها السنة، وإن دار الخلاف حول صحة تلك الأحاديث. انظر: الأشقر، **عالم الجن والشياطين**، ص80- 83.

(122) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مجلد8، ج15، ص 208.

(123) الزمخشري، **الكشاف**، مجلد2، ج4، ص72- 73.

(124) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1998م، ج5، ص 31. وهو ما ذهب إليه ابن عاشور حيث أشار إلى أن الشيطان ليس له على بني آدم إلا الوسوسة، فوسوس لأيوب بأنه لا يستحق لذلك العذاب. انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس، مجلد9، ص 269.

(126) ابن حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، دار الفكر، بيروت، 1992م، ج9، ص161.

(126) **المرجع السابق نفسه**، ج9، ص 161.

(127) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد 13، ج26، ص 186.

(129) ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس، **ايضاح الدلالة في عموم الرسالة**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص 6.

(130) الشبلي، بدر الدين بن عبد الله، **آكام المرجان في أحكام الجآن**، دار سينا، القاهرة، 2000م، ص92.

(131) ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999م، ج3، ص181.

(131) **المرجع السابق نفسه**، ج3، ص 180- 181.

(133) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مجلد، ج3، ص355.

(134) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص308.

(135) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني**، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، مجلد2، ج3، ص49.

(135) **المرجع السابق نفسه**، مجلد2، ج3، ص 49- 50. وذكر جملة من الأحاديث على إثبات مس الجن، فقال: (ومن تتبع الأخبار النبوية وجد الكثير منها قاطعاً بجواز وقوع ذلك من الشيطان، بل وقوعه بالفعل، وخبر الطاعون من وخز اعدائكم الجن صريح في ذلك).

(137) الشبلي، **آكام المرجان في أحكام الجآن**، ص91.

(138) عبد المنان، حسان، **علاقة الجآن بالإنسان،** مكتبة برهومة، الأردن، ط1، 1995، ص36-37، ص48-53.

(139) الزمخشري، **الكشاف،** مجلد1، ج1، ص245. للمزيد انظر: الرازي، **التفسير الكبير،** مجلد4، ج7، ص78-79. عند نقله لكلام الجبائي المعتزلي في نفي الصرع، ذكر الرازي الأقوال في ذلك، ومال إلى أن الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والاشتغال بغير الله، فهذا المراد من مس الشيطان، فتاره يجره إلى النفس والهوى، وتارة يجره الملك إلى الدين والتقوى، فحدثت هناك حركات مضطربة، فالخبط كان حاصلاً في الدنيا بسبب حب المال، وأورثه الخبط في الآخرة.

(140) أبو السعود، أبو السعود، محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،** دار احياء التراث العربي، بيروت، مجلد 1، ج 1، ص 266. وهو ما أشار إليه البيضاوي بقوله: وهذا من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله، فنهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم؛ لكن لأن الله أربى في بطونهم ما أكلوه. انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل،** ج1، ص 162.

(141) الرازي، **التفسير الكبير،** مجلد10، ج19، ص88.

(142) عبيدات، عبد الكريم، **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة،** ص285.

(143) أحمد، حبيب الله حسن، **علاقة الإنسان بالملك والشيطان،** ص83.

(143) **سورة الأعراف،** آية 27، وآية 201.

(144) وليم ماكدونالد، **تفسير الكتاب المقدس للمؤمن،** ج3، ص1485.

(145) **الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم،** ج1، ص63-64.

(146) الدسوقي، إبراهيم، **خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود،** ص231.

(147) القواسمة، أحمد حسن، **موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة،** ج3، ص516.

(148) الدسوقي، إبراهيم، **خفايا التلمود،** ص230.

(149) **المرجع السابق نفسه،** ص224.

(150) وليم ماكدونالد، **تفسير الكتاب المقدس،** ج3، ص1485.

(151) **المرجع السابق نفسه،** ج3، ص 1545.

(152) **المرجع السابق نفسه،** ج3، ص1545.

(153) أحمد، حبيب الله، **علاقة الإنسان بالملائكة والجآن**، ص97.

(154) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص 414.

(155) أحمد، حبيب الله حسن، **علاقة الإنسان بالملائكة والجآن**، ص98.

(156) عبيدات، عبد الكريم، **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة**، ص326.

(157) أحمد، حبيب الله حسن، **علاقة الإنسان بالملائكة والجآن**، ص96.

(158) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج27. ص189.

(159) أحمد، حبيب الله حسن، **علاقة الإنسان بالملائكة والجان**، ص99-100.

(160) **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، ح 1434.

(161) أحمد، حبيب الله حسن، **علاقة الإنسان بالملائكة والجان**، ص101.

(162) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد 7، ج13، ص156.

(163) الخطيب، محمد، **مقارنة الأديان**، ص176.

(164) **المرجع السابق نفسه**، ص178.

(165) وليم ماكدونالد، **تفسير الكتاب المقدس**، ج3، ص1580.

(166) **المرجع السابق نفسه**، ج1، ص304-305.

(167) **المرجع السابق نفسه**، ج3، ص1544.

(168) **المرجع السابق نفسه**، ج1، ص304-305.

(169) **المرجع السابق نفسه**، ج3، ص1306. رسالة بطرس الثانية 2: 4. رؤيا يوحنا 19: 20.

(170) **المرجع السابق نفسه**، ج3، ص1306.

(171) **قاموس الكتاب المقدس**، ص535.

(172) الدمشقي، يوحنا، **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي**، عربه من النص اليوناني الأرشمندريت أدريانوس شكور، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط1، 1984م، ص94.

(173) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد6، ج11، ص40.

(174) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 2، ص 510. للمزيد انظر: قوله تعالى:﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ **[الحشر، 16]**.

(175) وليم ماكدونالد، **تفسير الكتاب المقدس**، ج2، ص 806.

قائمة المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم.
2. ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ت.
3. ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد، **الفِصل في الملل والأهواء والنحل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999م.
4. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم**، دار الجيل، بيروت، د.ت.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار احياء الثراث العربي، بيروت، ط3، 1999م.
6. أبو السعود، أبو السعود، محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
7. أحمد، حبيب الله حسن، **علاقة الإنسان بالملك والشيطان**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
8. الأشقر، عمر سليمان عبد الله، **عالم الجن والشياطين**، دار النفائس، الأردن، ط15، 2004م.
9. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني**، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت.
10. أوغسطينس، **مدينة الله**، نقله إلى العربية يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000م.
11. برايان، ج. بايلي، **دراسة للعالم الروحي من حولنا، الملائكة**، مطبعة أم.دي جرافيك، القاهرة، حقوق الطبع محفوظة للناشر، 2005م.
12. تشارلس ماكنتوش، **شرح الكتاب المقدس**،مكتبة الأخوة، القاهرة، ط4، 2007م.
13. الحلو، يوحنا،**خواطر فيلسوف في الحياة الروحية للقديس أغوسطينوس**،دار التراث الروحي، بيروت، ط5، 1970.

14. الخطيب، عبد الكريم، **الشيطان والإنسان بين أوليائه وأعدائه**، دار الفكر العربي، 1979م.
15. الخطيب، محمد أحمد، **مقارنة الأديان**، دار المسيرة، الأردن، ط2، 2009م.
16. الدسوقي, إبراهيم، **خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ج1، 2008م.
17. الدمشقي، يوحنا، **المئة مقالة في الإيمان المسيحي الأرثوذكسي**، عربه عن النص اليوناني الأشمندريت أوريانوس شكور، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، بيروت، ط1، 1984م.
18. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
19. الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس**، تحقيق نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط1، 2011م.
20. الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2006م.
21. الشبلي، بدر الدين بن عبد الله، **آكام المرجان في أحكام الجآن**، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2007م.
22. الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ضبط محمود شاكر، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
23. الطهطاوي، محمد عزت، **النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه**، دار التقدم، القاهرة، 1977م.
24. عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر، بيروت، 2000م.
25. عبد المنان، حسان، **علاقة الجآن بالإنسان**، مكتبة برهومة، الأردن، عمان، ط1، 1995م.
26. عبد الوهاب، أحمد، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية** (خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب) مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1978م.

27. عبيدات، عبد الكريم نوفان فواز ، **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة**، دار إشبيليا، الرياض، 1419هـ.

28. عزيز ، فهيم، **الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس**، دار الثقافة، القاهرة.

29. العقاد، عباس، **إبليس**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1969م.

30. العهدين **(التوراة، الإنجيل)**.

31. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م،

32. القواسمة، أحمد حسن، وآخرون، **موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة**، دار الراية، عمان، 2008م.

33. مجموعة من كهنة الكنيسة، **الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم**، كنيسة مارمرقص، القاهرة، ط1، 2006م.

34. نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص اللاهوتيين، **قاموس الكتاب المقدس**، مكتبة العائلة، القاهرة، ط14، 2005م.

35. وليم ماكدونالد، **تفسير الكتاب المقدس للمؤمن**، دار الأخوة، شبرا القاهرة، 2005م.